محمد ابراهيم مصطفى
(أبو إسلام)

تَعَالَوْا مَعِي لِنُؤَذِّنَ فِي مَالْطَة!

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة ت: ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

تُطلبُ الكتبُ من مكتةوهبة - ١٤ شارع الجمهورية - عابدين -
القاهرة ت: ٣٩١٧٤٧٠
أو من المؤلف : ١٧ شارع عبد العزيز جاويش - ميدان لبنان -
المهندسين ت : ٣٠٢٨٣٨٩ - ٣٠٥٢٤١٦
موبايل : ٠١٠١٤٦٧٠٣٩

الكتابة على الكمبيوتر والتصحيح: أبو إسلام
الغلاف من تصميم المهندس: علاء الدين محمد إبراهيم

الإهـــــداء

إلى الذين يصرخون في الهواءِ ، ولا يسمعُ صرخاتِهم أحد !!..

وإلى الذين ينقشون على الماءِ ، فلا يظهرُ على الماءِ من نقشِهم شيء .

وإلى الذين ينادون بالإصلاحِ ، في صحراءَ جرداءَ ليس فيها إنسانٌ ولا حيوانٌ ولا حتى جانٌّ !!..

وإلى الذين بُحَّتْ أصواتُهم ، فضاعت بلا جدوى صيحاتُهم !!..

وإلى الكاظمين الغيظَ والعافين عن الناسِ ونصائحُهم بالنِّعالِ تُداس!!.

وإلى الذين يبحثون في ضوءِ الشمسِ ، عن النورِ والحسناتِ ، فلا يرَوْن إلاّ الظلماتِ والسيئاتِ !!..

وإلى الذين نال منهم اليأسُ بعدما أخرسهم الظلمُ والبطش !!..

وإلى الذين أحسنوا الظنَّ بالناسِ ، فلم يجدوا منهم إلاّ الجحودَ والنكرانَ وانعدامَ الضميرِ ، وفقدانَ الإحساسِ !!..

إلى كلِّ هؤلاء الذين ضاقت صدورُهم ، وتعبت قلوبُهم .. أقولُ :

لا تيأسوا من رحمةِ اللهِ .. إنّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا !!..

وإن كنتم مثلي ، تصرخون في الهواءِ ، وتنقشون على الماءِ ، وتنادون في الصحراءِ بالإصلاحِ ، ولا يسمعُكم أحدٌ من عبادِ اللهِ ، وكأننا (كما يقولون) نؤذِّنُ في مالطة ، فاعلموا أنّ اللهَ تعالى يسمعُكم ، ويكتبُ أجورَكم ، ولن يُضيعَ أعمالَكم !!..

فتعالوْا معي نستمرُّ في الصراخِ في الهواءِ ، والنقشِ على الماءِ ، والنداءِ في الصحراءِ ، ولْنَكْظِمْ غيظَنا ، ولْنلتمسْ العذرَ لخصومنا ، ولْنَعْفُ عمَّن ظَلَمَنَا ، ولْنُحْسِنْ إلى مَنْ أساءَ معاملتَنا .. ولْنَسْتَمِرَّ دومًا في نُصْحِنا ، ولابد يومًا يسمعُ أحدٌ صراخَنا ، وتظهرُ على الماءِ لوحاتُنا ، ويتجمّعُ الناسُ في صحرائِنا ليستجيبوا لنداءاتنا .. حتى وإن تأخَّرَ ذلك إلى ما بعد موتِنا .. فعلينا أداءُ الرسالةِ ، وما علينا الآن إلاّ البلاغُ !!..

فتعالوْا جميعًا معي .. لننقشَ بلا يأسٍ على الماءِ ، ونناديَ بأعلى صوْتٍ في الصحراءِ ، أو حتى لنؤذّنَ في مالطة !!..

محمد ابراهيم مصطفى
(أبو إسلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَـــةُ

من كثرةِ الكلامِ جفَّ الحَلْقُ !!.. ومن عُلُوِّ الصّراخِ تَعِبَ الخَلْقُ !!..
وزاد اليأسُ بعدما تقدّم الباطلُ وتراجع الحقُّ !!..

وماذا يملكُ الشرفاءُ غيرَ الصّراخِ ، في عالَمٍ سيِّءِ الجوّ والمناخِ ؟!!.. وماذا في قدرتِهم سوى الكلامِ ، والعيشِ في الأحلامِ ؟! وماذا في أيديهم للجهادِ ، بعد التنبيهِ والتذكيرِ والإرشادِ ؟؟!!..

كلما ظهر بالحقّ صوتٌ ، شوّشتْ عليه بالباطلِ أصواتٌ !!.. وكلّما صرخ مظلومٌ ، تبعثرتْ في الهواءِ الصّرخاتُ !!.. وإذا اعترض أيُّ رجلٍ شريفٍ ، اتُّهموه بالجنونِ والتخريفِ !!..وارتفع في السماءِ اللصوصُ ، وتَهاوت القوانينُ والنصوصُ !!.. وانقلبتْ المفاهيمُ والمعاييرُ ، وتقهقرت الأخلاقُ وانعدم الضميرُ !!..

وكم نادَى المخلصون بالإصلاحِ ، فامتلأتْ قلوبُهم بالجراحِ !!..ولم يجدوا أملاً في عودةٍ أو رجوعٍ ، وامتلأت العيونُ بالعَبَراتِ والدموعِ !!..

ولْيصبرْ كلُّ مُصْلِحٍ وشريفٍ .. وصاحبُ كلِّ صوتٍ ضعيفٍ .. فإنّ دعوةَ الحقِّ لابد ستنتصرُ .. وصوتُ الباطلِ سوف يندثرُ .. ومهما هبّت الزوابعُ واشتدّ الرّيحُ .. فلن يصحَّ في النّهايةِ إلاّ الصحيحُ !!..

ولْنتذكّرْ مَنْ كانوا قبلنا .. ومن نادَوْا بالحقِّ وقالوا قولَنا .. ولْنتذكّرْ الحكماءَ والفلاسفةَ ، والأنبياءَ والشيوخَ والأساقفة ، الذين أضاءوا الدنيا بالحكمةِ والمعرفة .. وكم منهم من ذاق الاضطهادَ والهوان ، وتحمّلَ ما فاقَ طاقةَ الإنسان !!.. وبعد سنين طويلةٍ من موتِهم .. أيقن الناسُ صِدْقَ دعواتِهم ، واستجابوا أخيرًا لنداءاتِهم !!..

فياأيّها المصلحون .. ويامن بالحقِّ تنادون .. لاتخشوْا في الله لومةَ لائمٍ ، واستمرّوا حتى يستيقظَ كلُّ غافلٍ ونائمٍ .. فالباطلُ لابدَّ سوف يَجْلُو .. والحقُّ في النّهايةِ سوف يَعْلُو .. وضاعِفوا جهادَكم وكفاحَكم .. واجعلوا الصبرَ والإيمانَ سلاحَكم .. وفي صفحاتِ التاريخِ سوف تُذْكَرون .. ومن الله سوف تُرْحَمون ، وبنعيمِ اللهِ سوف تنعمون !!..

محمد ابراهيم مصطفى
(أبو إسلام)

أيُّهَــا الْعَــالَمُ الْجَبَانُ .. إلَى مَتَى ؟؟!!

كيف ينسى الناسُ ما حلَّ وما يحِلُّ بهم من كوارثَ على أيدي قوى الشّرِ على مرِّ التاريخِ ؟! وكيف لا يتّعظُ العقلاءُ في العالمِ " إن كان مازال فيه عقلاءُ " ، من كلّ ماالحقهم أو لَحِقَ غيرَهم ، من دمارٍ وتخريبٍ لآلافِ المنشئاتِ المدنيةِ التي تُقدّمُ الخيرَ والنفعَ للناسِ ، وقَتْلٍ للآلافِ من البشرِ ، وتشريدِ للملايينِ من العُزّلِ الأبرياءِ ، ويُتْمٍ للملايينِ من الأطفالِ ، وترميلٍ للملايينِ من النساءِ ، وهدمٍ للآلافِ من دورِ العبادةِ ، التي يُذكَرُ فيها اسمُ الله ؟؟!!..

ألا يقرأون بعضَ صفحاتِ التاريخِ ، التي سطّرتْها أيدي المفسدين والأشرارِ.. من قوى البغيِ والشّرِ بحروفٍ من نارٍ ؟!.. ألا يَرَوْنَ آثارَ المظالمِ والشّرورِ ، في كلّ مكانٍ وأثرٍ مهجورٍ ؟؟!!.. وكأنّها تقولُ : أيّها الظالمون كفاكم ظلمًا !! أيّها المعتدون كفاكم بغيًا !!.. أيّها المتكبّرون المتجبّرون كفاكم طغيانًا !!.. أيّها المخادعون كفاكم خداعًا !!.. أيّها المستسلمون كفاكم ذلاًّ !!.. أيّها المتخاذلون كفاكم هوانًا !!.. أيّها المظلومون كفاكم صبرًا وصمتًا !!..

هل نسيتم " هولاكو " الجبّارَ ، الذي طغى وبَغَى واستكبرَ ، وأحرقَ وخرّبَ ودمّرَ ، ولم يُوقِفْ زحفَه وظُلْمَه إلاّ المؤمنون بالله وبالحقّ ، حين تصدَّوْا لجبروتِه فكسروا شوكتَه ، ومحَوْا هيبتَه ؟!... وهل نسيتم الدكتاتورَ

" هتلرَ " ، الذي بغى واستكبرَ ؟! الذي قال : (ألمانيا فوقَ الجميعِ) ؟!..
وراح يُرْهِبُ العالَمَ كلّه ، وسار في رَكْبه بعضُ الخائفين ، من الجبناء والمنافقين .. ولم تنكسرْ شوكتُهم ولم يُوقَفْ زحفُهم ، إلاّ عندما تصدّى لهم المتّحدون والمتحالفون ضدّ الأشرارِ والمعتدين ، والجبناءِ والمنافقين !!..
وهاهي ألمانيا وكأنّها نَسِيَتْ ما حلَّ بها من خزْيٍ وعارٍ .. وبالعالَم من جرّاء الدكتاتوريةِ الألمانيةِ من دمارٍ ، وتقفُ اليومَ مساندةً تارةً ومحايدةً تارةً أخرى أو تكتفي بمعارضةِ ضربِ العراقِ ، رغم أننا نشيدُ بموقفِ المستشارِ الألمانيِّ "شرودر" وموقفِ الرئيسِ الفرنسيِّ "جاك شيراك" من معارضتِهما لضربِ العراقِ ، وتهديدِ فرنسا وروسيا باستخدامِ "الفيتو" ضدّ استخدامِ القوةِ في أزمةِ العراقِ .. وكنا نتمنى أن تكوّنَ هذه الدولُ تحالفًا قويًا يضمُّ فرنسا وألمانيا وروسيا والصينَ وبلجيكا وكوريا الشماليةَ ، وغيرَها من الدولِ المعارضةِ لاستخدامِ القوةِ ضدّ العراقِ ، واتخاذِ موقفٍ حازمٍ للتصدّي للدكتاتوريةِ العالميةِ المعاصرةِ المتعاليةِ والمتجبّرةِ .. التي سحقتْ من قبلُ هيروشيما ونجازاكي !! والتي تُهدّدُ عالَمَ اليومِ بالدمارِ والخرابِ !!.. بعد أن تقوقعَ الأسُودُ ، وأصبح الأمرُ للذئابِ والكلابِ !!..

هل غابت عن أذهانكم القنبلةُ الذّريّةُ التي أُلْقِيَتْ على هيروشيما ونجازاكي باليابانِ .. فسحقتْ الأبرياءَ من بني الإنسانِ ؟! وما ترتّب عليها من دمارٍ وتخريبٍ ، وتسميمٍ للأجواءِ وتشويهٍ للأبدانِ ؟!.. والمصيبةُ الكبرى أن اليابانَ تبدو وكأنّها نَسِيَتْ ما حلَّ بِها وبشعبِها من دمارٍ !!.. وراحت

تقفُ اليومَ إلى جانبِ قوى الشرّ في عدوانِها وتَهديدِها للعالَمِ كلّه بالدمارِ والخرابِ !!..

هل غاب عن أذهانِ المتخاذلين والمستسلمين تاريخُ الاحتلالِ الإنجليزيِّ والفرنسيِّ للعالَمِ العربيِّ ، الذي نَهَبَ خيراتِ العربِ وثرواتِهم ، وأذلَّ شعوبَهم ، وقسّم دولتَهم واصطنع الحدودَ ليفرّقَ شملَهم .. ولم يخرجْ إلاّ باتّحادِهم وتوحيدِ كلمتِهم وشجاعةِ زعمائِهم وتضحياتِ شبابِهم ؟؟!!.. ومع ذلك يبدو أنّهم نسوا تاريخَهم ، ونسوا ماعانوه من ذلٍ وما ذاقوه من هوانٍ ، كما نسوا ما بذله المجاهدون الشرفاءُ من تضحياتٍ ، وما قدّموه من أرواحٍ غالياتٍ !!. وسلّموا أنفسَهم وأراضيهم للجدُدِ من الطغاةِ المستبدّين ، وجعلوا من أرضِهم قواعدَ عسكريةً للمعتدين ، حتى ولو كان الاعتداءُ على أشقّائِهم والإخوةِ المجاورين .. ويالِلحسرةِ على ماسال من الدماءِ ، ورحمةٌ وسلامٌ على أرواحِ الشهداءِ !!..

يامن تُسمّون أنفسَكم بالمتقدّمين .. أو المتحضّرين ، وعن الحريةِ وحقوقِ الإنسانِ مدافعين .. أين أنتم اليومَ مما يحدثُ من وأدٍ للحرياتِ ، وإهدارٍ لحقوقِ الإنسانِ واغتيالٍ للديموقراطياتِ ؟!.. كيف تسكتون وأنتم للظلمِ تشاهدون ؟!.. كيف تخرسون ولِقُوَى الشرِّ تؤيّدون وتساندون ؟!..

يأمريكيون .. هل نسيتم الذين احتلّوا بلادَكم من الأوروبيين ؟!.. وهل نسيتم كفاحَكم حتى حرّرتم بلادَكم ، وجعلتم الرابعَ من يوليو عيدًا لاستقلالِكم ؟!.. فكيف تقبلون لغيرِكم ما لم تقبلوه لأنفسِكم ؟!.. كيف تجتهدون لتحقيقِ العزّةِ والرخاءِ والثراءِ لشعبِكم ، بينما تفرضون الذّلةَ والجوعَ والمرضَ والفقرَ على غيرِكم ؟!.. أيّةُ عدالةٍ هذه التي تزعمونَها ، وأيّةُ حريّةٍ هذه التي تنادون وتتشدّقون بها ، وأيّةُ رعايةٍ لحقوقِ الإنسانِ ، التي تدّعونَها ؟!.. بينما لا تحترمون العدالةَ والحريّةَ وحقوقَ الإنسانِ في بلادٍ غيرِ بلادِكم ؟!

يافرنسيون .. هل نسيتم ثورتَكم على الظلمِ والاستبدادِ ، وإعدامَكم للطغاة من الملوكِ والأمراءِ والماركيزاتِ ؟!.. الذين استعبدوا شعبَكم وأذاقوه ألوانَ الذّلّ والجوعِ والهوانِ ؟!.. وهل نسيتم شعاراتِكم عن الحريّةِ والإخاءِ والمساواةِ ؟! كيف ترضَوْن لغيرِكم مالم ترضوْه لأنفسكم ؟!..فلتقفوا ضدّ العدوانِ والطغيانِ ، حتى تدافعوا عن المبادئِ التي نادى بها ثوّارُكم !!..

ياشعوبَ العالَمِ .. إنّ الأخلاقَ لا تتجزّأُ .. فالحريّةُ هي الحريّةُ مهما اختلف الزمانُ ، والمساواةُ هي المساواةُ مهما اختلف المكانُ ، والإنسانُ هو الإنسانُ مهما تباعدت البلدانُ !!.. سواءً كان في أمريكا أو في اليابانِ ، في انجلترا أو في الشيشانِ ، في ألمانيا أو في سوريا ، في العراق أو في كوريا !!..

هل من عدالتِكم أن تنقلبَ الدنيا ضدّ العراقِ ، بمجرّد أن تتّهمَه أمريكا ودون دليلٍ ، بحيازةِ أسلحةٍ للدمارِ الشاملِ ، وتَهتزَّ الأممُ المتحدةُ وكلُّ

أجهزتها ، وترسلَ المبعوثين والمفتشين للتفتيشِ في كلّ شبرٍ من أرضِ العراقِ ، حتى ترضَى (السيدةُ) أمريكا وتتخلّى عن عزمِها في ضربِ العراقِ ؟؟!!..
وينفي العراقُ امتلاكَه لأيِّ أسلحةٍ للدمارِ الشاملِ ، ويعلنُ المفتشون أن العراقَ خالٍ تمامًا من هذه الأسلحةِ ، ومع ذلك تصرُّ أمريكا على ضربِ العراقِ ، ويؤيِّدُها ذيلُها "بليرُ " رئيسُ وزراءِ انجلترا ، الذي يُشاركُها مشاركةَ العبدِ للسيّد !!.. وفي نفسِ الوقتِ تُعلنُ كوريا الشماليةُ امتلاكَها لبرنامجٍ نوويٍّ وتصرُّ في شجاعةٍ وتحدٍّ على المُضيِّ في برنامجِها النوويِّ ، وتطردُ المفتشين الدوليين الموجودين على أرضِها .. وتُعلنُ انسحابَها من معاهدةِ حظرِ انتشارِ الأسلحةِ النوويةِ .. فتُعلنُ أمريكا أنّ هذا الأمرَ يُمكنُ معالجتُه دبلوماسيًا وبالطرقِ السلميةِ ، ولا تؤلّبُ عليها العالَمَ كما ألّبتْه على العراقِ .. ولا يُثرثرُ الذيلُ البريطانيُّ بالتهديدِ بضربِ كوريا ، لأن سيّدَه الأمريكيَّ لم يأمرْه بذلك !!.. وتناشدُ بعضُ الدولِ (كوريا الشماليةَ) أن تُعيدَ النظرَ وتتراجعَ عن قرارِ انسحابِها من معاهدةِ الحظرِ .. كما يطالبُ البعضُ الآخَرُ بمعالجةِ موقفِ كوريا بهدوءٍ ، بينما أغمضوا أعينَهم عما حدثَ تجاهَ العراقِ .. ياللظّلم ، ياللخجلِ ، ويالّلعارِ !!..
مجرّدُ شُبْهَةِ حيازةِ العراقِ لأسلحةِ الدمارِ الشاملِ ، تُصبحُ الشغلَ الشاغلَ للعالَمِ كلّه ، بينما تأكيدُ كوريا الشماليةِ لامتلاكِها البرنامجِ النوويِّ لا يُحرّكُ شعرةً في رءوسِ من يدّعون تحقيقَ العدالةِ والحريّةِ !!..
والعالَمُ كلُّه يعلمُ أنّ إسرائيلَ تمتلكُ ترسانةً ضخمةً من أسلحةِ الدمارِ الشاملِ ، وتضربُ بكلّ قراراتِ الأممِ المتحدةِ عُرْضَ الحائطِ ، ولمدّةِ نصفِ

قرنٍ تقريبًا فلا يستحي مجلسُ (اللاّ أمنِ) ولا تضطربُ هيئةُ الأممِ (الغيرِ) متحدةِ ، ولا ترسلُ إلى إسرائيلَ ولو مجرّدَ رجاءٍ أو توسّلٍ بإعدامِ أسلحةِ الدمارِ الشاملِ .. لماذا ؟ لأنّ وليَّ الأمرِ الجديدَ في العالَمِ اليومَ لا يريدُ ذلك ، ويقفُ عقبةً في سبيلِ ذلك باستخدامِ " الفيتو " لصالحِ الطفلِ اليهوديِّ المدلَّلِ في إسرائيلَ ، الذي يُعْتَبَرُ السيّدَ الحقيقيَّ للعبدِ الأمريكيِّ الذليلِ ، وللأسدِ الإنجليزيِّ العجوزِ ، الذي توارت عنه الشمسُ ، وأصبح يسخرُ منه الأرنبُ والنّمسُ !!..

أيّةُ عدالةٍ هذه يامن تتحدثون عن العدالةِ ؟!.. وأيّةُ حريّةٍ هذه التي تتشدّقون بها كذبًا وادّعاءً ؟!.. هل من العدالةِ أن تمتلكوا أنتم كلَّ أنواعِ الأسلحةِ ، بينما تُحرِّمونَها على غيرِكم ؟!.. لماذا لم يُطالبْ أحدٌ أمريكا أو روسيا أو الصينَ ، أو ألمانيا أو انجلترا أو فرنسا أو الهندَ أو باكستانَ أو إسرائيلَ ، بالتخلّصِ من أسلحةِ الدمارِ الشاملِ ؟!..

إذا كان من حقّكم أن تتسلحوا بهذه الأسلحةِ للدفاعِ عن أنفسِكم ، أليس من حقِّ غيرِكم أن يُسلّحَ نفسَه للدفاعِ أيضًا عن نفسه ؟!..

هل أقنعتكم عدالتُكم الزائفةُ بأنّ الإسرائيليين بما يرتكبونه من مذابحَ وجرائمَ في حقِّ الشعبِ الفلسطينيِّ ، إنما يدافعون عن أنفسِهم ، وهم يملكون كلَّ أسبابِ القوّةِ والدمارِ .. بينما يوصفُ الفلسطينيون بأنّهم إرهابيون لمجرّدِ أنّهم يقاومون الاحتلالَ ولو بالحجارةِ ؟!..

هل أقنعتكم موازينُكم المقلوبةُ بأنّ الرئيسَ الفلسطينيَّ عرفات الذي يُدافعُ عن وطنِه هو رجلُ إرهابٍ ، وأنّ السفّاحَ شارونَ الذي ينصبُ المذابحَ ضدَّ الشعبِ الفلسطينيِّ الأعزلِ هو رجلُ سلامٍ ؟!..

اعلموا أنكم تزرعون الفسادَ .. وغدًا ستجنون نتيجةَ مازرعتم يومَ الحصادِ .. وإنّ ربَّك لبالمرصادِ !!..

أيّها الصامتون عن الحقِّ .. أيّها المؤيّدون للباطلِ .. أيّها المساندون للظلمِ .. أيّها المتخاذلون عن الجهادِ .. أيّها المستسلمون للاضطهادِ .. إذا لم تفيقوا الآن فلن تفلتوا من براثنِ الذئابِ .. ولن تسلموا من أحكامِ شريعةِ الغابِ .. حيث تلتهمُكم قوى الشرّ باسمِ مكافحةِ الإرهابِ .. ولن تستطيعوا النجاةَ حينئذٍ مما سيصيبُ العالَمَ من الدمارِ والخرابِ !!..

فإلى أين تسيرُ أيّها العالَمُ الأعمى ؟!.. وإلى متى تظلُّ فاقدَ النطقِ ، ميّتَ الضميرِ والإحساسِ .. ظالمًا لبني الإنسانِ ؟؟!!..

أيّها العالَمُ الجبانُ .. إلى متى .. إلى متى ؟؟!!..

أيّتها الدولُ العربية .. تعلّموا الكرامةَ من كوريا الشماليةِ !!

ماذا نقولُ وقد بُحَّتِ الأصواتُ ، وماذا نفعلُ وقد تضاعفت الآهاتُ ؟؟!!.. بعد أن توارت العنجهيةُ ، وسقطتْ العنتريةُ ، وانتحرَ الضميرُ العربيُّ وماتَ ؟؟!!..

وماذا نقولُ لأصحابِ الجيوبِ والخزائنِ والكروشِ .. المستميتين بمذلّتِهم على الكراسيِّ والعروشِ ؟؟!! من معظمِ الحكّامِ المتخاذلين العربِ .. الذين تملّكهم الجبنُ كما يتملّكُ من الجسمِ الجَرَبُ !!..

لم يَعُدْ اللسانُ قادرًا على الكلامِ !!.. ولم يعدْ يُجدي الاعتراضُ أو الملام !!.. بعد أن تَقَزَّمَ العمالقةُ ، وتَعَمْلَقَ الأقزامُ !!..وبعد أن اختفت إلى الأبدِ الأسودُ والنمورُ من الغابِ .. وأصبحتْ الأمورُ كلُّها في أيدي الذئابِ والكلابِ !!..

وما نراه اليومَ في الوطنِ العربيِّ من مذلّة تعيشُها الشعوبُ ، وعليهم تقعُ المسئوليةُ والذنوبُ !!.. نتيجةً لخضوعِهم للاستبداد .. ولو أنّهم أعلنوا من قبلُ الجهادَ .. ورفضوا الطغيانَ والاضطهادَ .. وتحكُّمَ الطغاةِ واللصوصِ ، الذين فصّلوا القوانينَ و اختلقوا النصوصَ .. ونهبوا الخيراتِ والثرواتِ ، ولم

يتركوا للشعوبِ إلاّ الفتات .. لولا صمتُكم أيّتها الشعوبُ وسكوتُكم .. لما تبدّلت بِكم الأحوالُ .. ولما تحطّمت الآمال !!

رَحِمَ اللهُ المجاهدين والمناضلين .. الذين ضحَّوْا بأرواحِهم مُفتدين .. للقضاءِ على الظّلمِ والطغيانِ ، وللدفاعِ عن حقوقِ بني الإنسانِ .. لقد ضعفت الشخصيةُ ، وضاعت الهويّةُ ، واختلفنا مع الأشقّاء ، وتحالفنا مع الأعداءِ !!.. وهانحن نجني النتيجةَ والحصيلةَ ، من الهوانِ والفسادِ ، والرذيلة والهزيمةِ .. وانحنت الرءوسُ والهاماتُ ، ونُكّسَتِ الأعلامُ والراياتُ .. ولم يعُدْ لدينا إلاّ الهتافاتُ الكاذباتُ ، والتصريحاتُ الفارغةُ والشعاراتُ !!.. فمتى تقومُ لكم قائمةٌ .. أيّتها الشعوبُ النائمةُ المستسلمةُ ؟؟!!

لقد كانت أوروبا وأمريكا تحترمُكم ، يومَ كانت مُوَحَّدةً كلمتُكم .. أما اليومَ وقد تَهاونتم ، ولوحدتكم أضعتُم ومزّقتُم .. وعن الجهادِ تخاذلتُم .. فصغُرْتُم وضعفتُم ، وعلى كلِّ أعدائكم هُنتُم .. وهاهي أمريكا تَهزأُ بكرامتِكم ، وتلعبُ بقادتِكم .. كما تلعبُ بالشطرنجِ .. وكأنكم تحت تأثيرِ المخدِّرِ والبنجِ !!..

هل استطاعَ قائدٌ منكم ، أن يُعلِنَ نيابةً عنكم .. طردَ السفيرِ الأمريكيِّ ، أو نظيرِه الإنجليزيِّ أو الإسرائيليِّ .. عندما ضيّقوا حولكم الخناقَ ، وهدّدوا بضربِ العراقِ ؟؟!! هل جَرُؤَ حاكمٌ عندكم ، أن يُعلِنَ

رفضَ بلادِكم .. التعاونَ مع المعتدين ، أو الخضوعَ للسفّاحين الجبارين ، أو إخراجَ القواتِ الأجنبيةِ التي على أرضِكم صاروا متمركزين ؟؟!!

لقد أعلن بعضُ قادتِكم بكلِّ جُبْنٍ وبجاحةٍ عن خوفه ، بحُجّة صِغَرِ بلده وضعفه ، وراح يتعاهدُ مع الأعداءِ ، ضدَّ الإخوةِ والأشقّاءِ ، وفرَّط في شرفه وعِرْضِه ، بتسليمِ مالِه وأرضِه ، وجَعْلِهَا قواعدَ عسكريةً للمعتدين !!..

أيّها القادةُ العربُ .. إذا أردتم النجاحَ الأكيدَ ، والدرسَ المفيدَ .. فارفضوا التبعيةَ والعبوديةَ ، وقولوا لا للغطرسةِ الأمريكيةِ .. وتعلّموا قوّةَ الشخصيةِ ، من كوريا الشماليةِ !!.. حيث طردتْ مفتشي الأممِ المتحدةِ ، وأزالتْ أجهزةَ المراقبةِ عن منشئاتِها النوويةِ ، واستأنفتْ العملَ في برنامجِها النوويِّ .. ولم تكتفِ كوريا الشماليةُ بذلك ، وإنما رفضتْ رسميًا الطلبَ الأمريكيَّ بتفكيكِ البرنامجِ النوويِّ ، وفرضتْ شروطًا محدّدةً لذلك ، منها أن تُوقِّعَ الولاياتُ المتحدةُ على معاهدةِ عدمِ التعرُّضِ ، والاعترافِ بسيادةِ كوريا الشماليةِ ، وعدمِ الإضرارِ بمصالحِها الاقتصاديةِ ، بل وطالبت الولاياتِ المتحدةَ بخفضِ تسليحِها ،كشرطٍ أساسيٍّ للمحادثاتِ .. والأكثرُ من ذلك كلّه ، أنّ كوريا هدّدت بضربِ أهمِّ ثلاثةِ مدنٍ أمريكيةٍ ، هي نيويورك وواشنطن وشيكاغو!! كما هدّدتْ بضربِ القواتِ الأمريكيةِ في كوريا الجنوبيةِ ، وسحْقِ ولايةِ كاليفورنيا ، فماذا فعلت الولاياتُ المتحدةُ إزاء هذا التحدّي ؟! دَعَتِ الصينَ وروسيا واليابانَ وكوريا الجنوبيةَ والوكالةَ

الدوليةَ للطاقةِ ، لممارسةِ الضغوطِ على بيونج يانج (عاصمةِ كوريا الشماليةِ) للتخلّي عن موقفِها!!..

ألا يجعلُنا موقفُ أمريكا هذا نتعجّبُ من موقفِها تجاهَ كوريا الشماليةِ ، التي أعلنتْ بكلّ شجاعةٍ وتحدّ عن امتلاكِها لأسلحةِ الدمارِ الشاملِ ، والبرنامجِ النوويّ ، بينما أكّدَ العراقُ عدمَ وجودِ مثلِ هذه الأسلحةِ لديه ، وأيّدَتْ ذلك عملياتُ التفتيشِ الدوليّ ، التي تمّتْ في معظمِ أنحاءِ العراقِ دون تدخّلٍ من السلطةِ العراقيةِ .. ومع ذلك ظلّت أمريكا ومعها بريطانيا ، تُهدّدُ بضربِ العراقِ ، وتُكثّفُ الحشودَ العسكريةَ في كلّ مكانٍ ، وشنّت عليه الحربَ الشرسةَ الغيرَ متكافئةٍ حتى أسقطتْه ، وكأنّ العراقَ كان يُهدّدُ العالَمَ كلّه ، أوكأنّهم رَأَوْا في صدّامِ حسيْنٍ (هتلرَ) أو ظلّه ؟؟!!

ومَنْ يدري !! لعلّ "بوش" يُصرّحُ بحجّةٍ جديدةٍ ، ليُبرّرَ احتلالَه للعراقِ ، كحجّةِ الذئبِ ضدَّ الحَمَلِ الوديعِ في القصةِ القديمةِ المعروفةِ ، الذي ادَّعى فيها الذئبُ الذي كان في موقعٍ مرتفعٍ ، أنّ الحمَلَ الذي يقفُ في موقعٍ منخفضٍ ، أنه يصبُّ الماءَ الذي يصعدُ إلى موقعِ الذئبِ فيُضايقُه ، فلما كذّبَ الحَمَلُ حُجَّةَ الذئبِ بأن الماءَ لا يسيلُ من أسفلَ إلى أعلى ، اضطُرَّ الذئبُ إلى الادّعاءِ بأنّ جَدَّ الحَمَلِ سَبَقَ أن شتمَ جَدَّ الذئبِ ، ولذلك لابد أن يقتلَه !! و بعد إثباتِ المفتشين الدوليين أن العراقَ خالٍ من أسلحة الدمارِ الشاملِ ، لعلّ "بوش" يقولُ في حجّتِه الجديدةِ ، التي يمكنُ للعالَمِ أن يعتبرها نكتةَ الألفيةِ

الثالثةِ ، بأنّ صدّامَ حسين هو الذي أمدَّ كوريا الشماليةَ بأسلحةِ الدمارِ الشاملِ ، وأنّ العراقَ هو الذي أوعز إلى كوريا بالتهديدِ بضربِ نيويورك وواشنطن وشيكاغو ، ولهذا لابد من ضربِ العراقِ واحتلالِه كما حدثَ !!.

أرأيتم ياعربُ ، كيفَ تكونُ مواقفُ الطغاةِ من الشجعانِ المتحرِّرين ، ومواقفُهم من الجبناءِ الخائفين ؟!.. فهل نأملُ في حدوثِ معجزةٍ ، وأن يخرجَ الشعبُ العربيُّ بحكّامِه المتقزّمين ، من (القُمقمِ) الذي تقوقعوا فيه ، ويتحوّلوا إلى مَرَدَةٍ وعمالقةٍ ، ليقهروا الطغاةَ والزنادقةَ .. ويرجعوا إلى سابقِ أمجادِهم ، لإنقاذِ بلادِهم .. ويقولوا لا للظّلمِ والبغيِ والعدوانِ .. ونَعَمْ للحريةِ والعدلِ والسلامِ ؟؟!!..

ليتكم ياعربُ تُخرِجون رءوسَكم التي دفنتموها في الرمالِ ، وتتذكّرون الشرفَ العربيَّ الذي مرّغتموه في الأوحالِ ، وتستعيدون العزّةَ والكرامةَ ، وتتعلّمون الشجاعةَ الوطنيةَ ، والمواقفَ المبدئيةَ !!..

وبعد ضياعِ أفغانستان ، وضياعِ العراقِ .. ولا ندري مَنْ بعدَهما ، لا نريدُ أن نفقدَ الأملَ ، قبل أن تضيعَ الفرصةُ وينتهيَ الأجلُ .. فقط ، خذوا العِبرةَ والعِظةَ ، وتعلّموا من المواقفِ الشجاعةِ القويةِ ، لدولةِ كوريّا الشماليةِ !!..

يا تليفزيون يا ...... مَفْسَدَة !!..

وقانا اللهُ شرَّكَ يا تليفزيون !!.. فقد كنا نأملُ بدخولك بيوتَنا أن تُفيدَنا بما تُقدِّمُه من برامجَ ثقافيةٍ ودينيةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ وترفيهيةٍ ، وكنا نأملُ أن تُرسِّخَ القيمَ والمبادئَ الرفيعةَ والأخلاقَ القويمةَ ، وتُقوِّيَ الروابطَ الزوجيةَ والعلاقاتِ الأُسريةَ ، وأن تُساعدَ الأُسرَ في تنشئةِ الأجيالِ تنشئةً سليمةً مبنيةً على العاداتِ الطيبةِ والتقاليدِ المحمودةِ ، التي توارثناها جيلاً بعد جيلٍ ، ولكنّك يا تليفزيون يا .. مفسدة ، حوّلتَ آمالَنا إلى سرابٍ ، وملأتَ بيوتَنا بالخرابِ ، وصيَّرتَ حياتَنا إلى عذابٍ ، ومرّغتَ الأخلاقَ في الترابِ ، وجعلتَ الشيطانَ قائدَك ، والفسادَ رائدَك .. وجعلتَنا نعيشُ في العذابِ الأليمِ ، ولا حول ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ !!..

وإذا نظرنا إلى ما تُقدِّمُه من برامجَ ، فسنجدُ أنّ أكثرَ من تسعين في المائةِ من هذه البرامجِ تحثُّ على الرذيلةِ وتدعو إلى الفسادِ ، بالطرقِ المباشرةِ وغيرِ المباشرةِ ، فمعظمُ الأفلامِ التي تعرضُها أفلامٌ ساقطةٌ لا تدعو إلى القيمِ ، بل تَهدمُ الأخلاقَ ، وتنشرُ الفسادَ وتُعلِّمُ الإجرامَ ، وتُشجِّعُ على التدخينِ وشُرْبِ الخمورِ وإدمانِ المخدّراتِ ، وبعضُ التمثيلياتِ والمسلسلاتِ تمتلئُ بمواقفِ الجنسِ الفاضحِ الذي يُفسدُ الشبابَ ، ويُشتِّتُ الألبابَ ، ويُغلقُ على الفضائلِ الأبوابَ !!..

لقد شجّعتَ الزوجاتِ على التمرّدِ على الأزواجِ بحجةِ الدفاعِ عن حقوقِ المرأةِ ، واستعنتَ بما تنادي به الدولُ الأخرى من إطلاقِ حريةِ المرأةِ ، ولو على حسابِ استقرارِ بيتها ، وحقوقِ زوجها ، وحقوقِ أولادها .. ولم تُركّزْ أو تُلفتْ نظرَها إلى أهمِّ واجباتها نحو بيتها وزوجها وأولادها .. ورُحْتَ تُؤكّدُ على حرّيةِ المرأةِ الشخصيةِ المطْلقةِ التي استغلّتها في هدمِ حياتها ، وتعذيبِ زوجها وتشريدِ وإفسادِ أولادها ، فتمزّقتْ بذلك الأُسَرُ ، وفسد المجتمعُ !!..

أيّها المسئولون عن هذا المشئومِ الذي أفسد الأخلاقَ ، وتسبب في خلقِ مئاتِ الآلافِ من قضايا الطلاقِ ، ألم تجدوا من وسائلِ الدفاعِ عن حقوقِ المرأةِ إلاّ ما انتشرَ في مجتمعاتِ الغربِ الفاسدةِ ، من مفاهيمَ مزّقتْ شملَ الأُسَرِ ، وأصابت المجتمعات بأشدِّ ألوانِ الأذى والضّررِ ؟!.. هل عَميَتْ عيونُكم وصُمَّتْ آذانُكم ، وخُدِّرَتْ عقولُكم ، وخرُبتْ ذاكرتُكم ، فنسيتم أنّ حقوقَ المرأةِ مكفولةٌ في الإسلامِ ، وأنّ كرامتَها مصونةٌ في كلامِ اللهِ وأقوالِ الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ ؟!..

لقد أسأتم إلى المرأةِ بما تُقدِّمونه من مفاهيمَ باطلةٍ ومن مغالطاتٍ ، كما أسأتم إلى الأجيالِ باسمِ الحرّيةِ الشخصيةِ التي تتشدّقون بها في كلِّ ما تُقدِّمونه ، ونسيتم أنّ الفضائلَ محمودةٌ ، والرذائلَ منبوذةٌ ، والحرّيةُ الشخصيةُ لاشك من الفضائلِ ، ولا يُنكرُ ذلك أحدٌ ، ولكن لابدّ أن يكونَ

للفضائلِ حدودٌ وضوابطُ ، إذا تجاوزناها انقلبتْ الفضائلُ إلى رذائلَ ، فكلُّ فضيلةٍ إذا زادت عن حدِّها انقلبتْ إلى ضدِّها ، فمثلاً الحرّيةُ فضيلةٌ فإذا زادتَ عن حدِّها تحوّلتْ إلى فوضى ، والفوضى رذيلةٌ .. والكبرياءُ فضيلةٌ إذا زاد عن الحدِّ تحوّل إلى كِبْرٍ ، والكِبْرُ رذيلةٌ .. والكرَمُ فضيلةٌ وإذا زاد عن الحدِّ تحوّل إلى سَفَهٍ وإسرافٍ ، والإسرافُ رذيلةٌ .. والادّخارُ فضيلةٌ ، وإذا زاد عن الحدِّ تحوّل إلى بُخلٍ ، والبخلُ رذيلةٌ .. والشجاعةُ فضيلةٌ وإذا زادت عن الحدِّ تحوّلتْ إلى تَهوّرٍ ، والتهوّرُ رذيلةٌ .. وهكذا .. إذن فحرّيةُ المرأةِ والأبناءِ ، وكذلك حرّيةُ جميعِ المواطنين ، لابدّ أن تكونَ بالضوابطِ التي حدّدها الإسلامُ ، وليست بالمفاهيمِ التي أوجدها المفسدون في مجتمعاتِ الفسادِ ، حيث انفلت الزّمامُ وفسدت النساءُ وانحرف الأبناءُ .. فلا احترامَ لمكانةِ الرجلِ في بيته ، ولا وقارَ للأب أمامَ ابنه أو بنته .. وصاحبُ المبادئِ في هذه الأجواءِ تاه .. ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله !!..

يا تليفزيون يا .. مفسدة !!.. لقد حوّلتَ جميعَ نسائنا وبناتنا إلى راقصاتٍ ، بإعلاناتك الماجنةِ التي لا يخلو أحدُها من الرقصِ والحركاتِ المثيرةِ لغرائزِ الشبابِ ، وتتساوى في ذلك إعلاناتُ المأكولاتِ والفرافيرِ ، وإعلاناتُ المبيداتِ للصراصيرِ !!..

أمّا ما تُسمّونه (فيديو كليب) والأجدرُ به أن يُسمّى (فيديو كلاب) ، فهو لا يمتُّ بأيّةِ صلةٍ للفنِّ أو الذَّوْقِ ، ومعظمُ مُخرجيه مُدّعون للفنِّ والفنُّ

منهم براءٌ ، وأيُّ فنّ هذا الذي يُرهِقُ الأبصارَ باللقطات العديدة الخاطفة والمختلفةِ والأضواءِ المُبْهِرَة ، والمناظرِ التي لا انسجامَ ولا توافُقَ بينها وبين الأغنية ؟!.. إنّ هؤلاء المخرجين يُقلّدون ما يُقدَّمُ في البرامجِ التليفزيونية الأجنبيةِ تقليدًا أعمىً ، دون مراعاةِ لأذواقِ المشاهدين ولا حرصٍ على سلامةِ أعينهم ، ولا تقديرٍ لمعقوليةِ المشاهد المتنافرة ، فهذا مُغَنٍ أو قُلْ مهرّجٌ (ولا أقولُ مطربًا) يركبُ درّاجةً ، ثم نراه بلا مناسبةٍ يركبُ سيارةً ، ثم يجري على شاطئ البحرِ ، ثم نجدُ أحدَ العازفين يعزفُ على البيانو وهو في وسطِ الصحراءِ أو على حافةِ الماء ، ثم نجدُ بعضَ الراقصات يرقصن أمام بعضِ الآثار الفرعونيةِ ، وفجأةً ينتقلُ الرقصُ إلى حلقاتِ أمام الخيامِ البدوية ، ونجدُ المغنّيَ أو المغنّيةَ وقد ارتدتْ الزيَّ البدويَّ ثم الزيَّ المدنيَّ ثم الزيَّ الفرعونيَّ ، وتجدُ الراقصين والراقصاتِ ، في لقطاتٍ سريعة ومتباينة من الأزياء التي لا تنسجمُ مع موضوعِ الأغنيةِ ، وحتى الرقصات قد تكونُ يابانيةً ثم هنديةً ثم أسبانيةً ثم رقصًا بلديًا ، وكما يقولُ المثَلُ : (كلّه عند العرب صابون) ولكن للأسفِ فهو صابونٌ لا يغسلُ ولا يُنظّفُ ، بل يُصيبُ الثوبَ بالبُقَعِ المتعدّدةِ الألوانِ ، التي تُشوّهُ الأبدانَ !!.. وبعد ذلك يُسمّون هذه الخزعبلاتِ بالفنِّ .. تمامًا كما يفعلُ بعضُ مُدَّعي الفنِّ في الرسمِ ، الذين يسكبون بعضَ الألوان المختلطةِ على اللوحةِ فتأخذُ أشكالاً غريبةً لا معنى لها ولا هدفَ ، ثم يدّعي أصحابُها أنّ لها معانٍ وأفكارًا معيّنةً ، وأنّ هذا النوعَ من الرسمِ من الفنِّ السِّرياليّ الذي لا يفهمُه إلاّ الخاصّةُ من الناسِ .. ومن العجيبِ أننا نجدُ من يشتري هذه اللوحاتِ العشوائيةَ بآلافِ الجنيهاتِ ، حتى

يُظهِروا أنّهم ممن يفهمون هذا النوعَ من الرسمِ ، وهم في الحقيقةِ لا يفهمون لها معنى ، ومن رسموها ليسوا إلاّ دجّالين ومحتالين !!.. وهكذا من يُخرِجون ويُقدِّمون دَجَلَ (الفيديو كليب) .. وأنا واثقٌ أنّهم سيتهكّمون عليّ وسيقولون إنني لا أفهمُ الفنونَ السِّرياليةَ ، وإذا كانت هذه الخزعبلاتُ والفوضى تُسمَّى عندهم سيرياليةً ، فأنا يُسعدُني ألاّ أكون ممن ينخدعون بكذبِها ، أو ممن يكذبون ويدّعون فهمَها .. ويكفيني أن أستمتعَ بالمناظرِ الطبيعيةِ ، التي خلقها اللهُ تعالى منسجمةً مع كلّ ما خلق اللهُ ، والتي يفهمُها كلُّ من نظر إليها ، ولا تحتاجُ إلى من يتفلسفُ بالكذبِ ليعطيَ للعملِ العشوائيِّ معنى وتفسيرًا ، لا يقبلُه العقلُ الواعي والوجدانُ الصادقُ والتذوّقُ الطبيعيُّ !!..

يا تليفزيون يا .. مفسدة !!.. هل أفلسَتْ عقولُ العاملين فيك وبارت أفكارُهم ، فراحوا يُكرِّرون البرامجَ ذاتَ الموضوعِ الواحدِ بالأسماءِ المختلفةِ والمتقاربة ؟!.. وحتى نشرات الأخبارِ التي نقرأُ كثيرًا من الأسماءِ التي تُعدُّها وتُخرِجُها ، أصبحتْ مُملَّةً بالتفصيلاتِ المملّةِ والحشوِ الزائدِ عن الحدِّ ، فمثلاً إذا سافر السيدُ رئيسُ الجمهوريةِ أو عاد من سفرٍ ، تُعرَضُ مراسمُ السفرِ والعودةِ وطوابيرُ المودِّعين أو المستقبلين ، ثم يظلُّ المذيعُ يذكرُ أسماءَ المودِّعين والمستقبلين فردًا فردًا مع ذكرِ مناصبِهم المتعدِّدة والتي نعرفُها ونحفظُها عن ظهرِ قلبٍ .. وإذا مرَّتْ مناسبةٌ أو ذكرى وطنيةٌ فنجدُ أخبارَ التهاني التي تتوافدُ على السيدِ الرئيسِ ، مع ذكرِ كلِّ ما جاء في رسائلِ

التهاني ، سواءً جاءت من خارجِ مصرَ أو من داخلِها ، من المحافظين وكبارِ الضباطِ والمسئولين ، ثم يقرأُ المذيعُ جميعَ هذه الرسائلِ بتفاصيلِها المملّة ، وأيضًا مع ذكرِ الوظائفِ والمناصبِ المتعدّدةِ لمُرسليها التي حفظها المشاهدون عن ظهرِ ووجَعِ قلبٍ .. حتى أصبحوا يشعرون بالسآمةِ والمللِ من تكرارِ ترديدِها ، مما يدفعُ بالكثيرين إلى إغلاقِ التليفزيونِ ، وأنا واحدٌ ممن يفعلون ذلك ، حتى نُريحَ أنفسَنا من هذا المللِ المتكرِّرِ .. ماذا يُضيرُ لو أنكم ذكرتم وصولَ هذه الرسائلِ وذِكْرَ أسماءِ مُرسليها فقط ودون قراءةِ محتوياتِها ؟!..

يا تليفزيون يا .. مفسدة !!.. من تقاليدِنا الطيبةِ التي توارثناها عن آبائنا وأجدادِنا ، المشاركةُ الوجدانيةُ لأقاربِنا وجيرانِنا ، حيث نُشاركُهم أفراحَهم ونُشاطرُهم أحزانَهم ، ونؤجِّلُ أفراحَنا أو نُضيِّقُ نطاقَها ، مراعاةً لمشاعرِهم .. ولا أدري كيف نسيتم أو تناسيتم أنّ لنا إخوةً يُقْتَلون وتُهدَمُ عليهم بيوتُهم في فلسطينَ الحزينةِ ، وأنّ هناك شبابًا يُستَشْهَدون فداءً لوطنِهم المحتلّ ، ونسيتم أنّ قوى الشرِّ قد تكالبتْ على إخوانِنا في فلسطينَ والعراقِ ، وحوّلوا فلسطينَ والعراقَ إلى مأتمٍ دائمٍ ، ومع ذلك لا تُحسّون ولا تُجاملون ولا تُشاطرون ولا تُشاركون وجدانيًا بتأجيلِ أفراحِكم واحتفالاتِكم ، ورحتم تقيمون الاحتفالاتِ وتُعلّقون الزيناتِ ، بمناسبةِ أعيادِ الثورةِ ، وسائرِ الأعيادِ، وتمجّدون ذكرى المطربين والمطرباتِ .. وكأننا نعيشُ في جوٍّ من الانتصاراتِ ورفعِ الهاماتِ ، وتناسيتم أنّ عدوَّنا قد داس على الكراماتِ وهتك الحرماتِ ويتحدّانا جميعًا ولا يأبهُ لصرخاتِ الأراملِ والأيتامِ ولا لاحتجاجاتِ الأنامِ ..

هل مات لديكم الشعورُ وتبلّدَ الإحساسُ ؟؟!! فلم تعودوا تُدركون متى نفرحُ ومتى نحزنُ ، ومتى نُغنّي ونرقصُ ، ومتى نُشاطرُ إخوانَنا الأحزانَ ؟؟!!.. أنتم تُغنُّون وترقصون فرحًا بالأعياد .. بينما إخواننا يصرخون ويتألمون من الإصاباتِ والوَفياتِ .. ياللمهانةِ ويالِلخجلِ ، ويالِلمصائبِ الجللِ !!..

هل مازالت عندكم عقدةُ (الخواجة) ومللتم لغتَكم العربيةَ حتى تلجأوا إلى تسميةِ برامجِكم باللغة الإنجليزية ، كبرنامجِ (**Week End**) وكأنّ اللغةَ العربيةَ قد نضبَتْ ولم يَعُدْ فيها عبارةُ (نهايةُ الأسبوعِ) ؟!.. ألا تستحون ؟!.. هل سمعتم ذاتَ مرّةٍ أنّ تليفزيونًا أجنبيًا سمّى برنامجًا فيه باللغة العربيةِ ؟!. إنّهم يعتزّون بلغاتِهم ويتمسّكون بها ، ونحن نسخرُ من لغتنا ونتنكّرُ لها .. ياللخزْيِ ويالِلعارِ !!.. ورحِم اللهُ حُمْرَةَ الخجلِ التي قاطعتْ الوجوهَ التي أغرقتها حُمْرَةُ المساحيقِ ، والتي من السُّكْرِ لا تفيقُ !!..

ياتليفزيون يا .. مفسدة !!.. كيف يتفقُ مع الأديانِ أو الأخلاقِ أو الذّوقِ ، أن يكونَ هناك مشهدٌ راقصٌ ماجنٌ ، في فيلمٍ أو مسلسلٍ مثيرٍ للغرائزِ ، ثم يتصادفُ أن يجيءَ موعدُ الأذانِ للصلاة ، ثم تعرضون الأذانَ وحديثًا شريفًا للرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم ، ثم تُسارعون باستئنافِ عرضِ المشهدِ الماجنِ المثيرِ للغرائزِ ؟!.. ألا تستحون من الله ؟!.. لقد رأينا في بعضِ القنواتِ العربيةِ أنَهم يوقفون الإرسالَ لدقائقَ بعد الأذانِ حتى يُعطوا المشاهدين فرصةً لأداءِ الصلاةِ .. ولو كان لديكم مخرجون يخافون اللهَ لراعوْا

أن يستأنفوا الإرسالَ بعد الأذانِ ، بمشهدٍ محترمٍ حتى لو أعادوا جزءًا سابقًا من الفيلمِ أو المسلسلِ ، أو بعدمِ استئنافِ المشهدِ الماجنِ ، حتى يتجنّبوا عرضَه بعد الأذانِ مباشرةً ، مراعاةً لمشاعرِ المؤمنين !!..

ياتليفزيون يامفسدة !!.. إذا كنتَ تُقدِّمُ البرامجَ العديدةَ ، والأفلامَ والأغاني والرقصاتِ الخليعةَ كلَّ يومٍ حتى ما بعد الفجرِ ، فماذا تَهدفُ من وراءِ ذلك ؟!.. ألا يُدركُ المسئولون عن ذلك أنّ سهرَ الناسِ بهذا الشكلِ يُرهقُهم ويُؤثّرُ في إتقانهم لأعمالِهم ، وفي كمِّ إنتاجِهم ، وقد بُحَّتْ أصواتُ قادتنا في الدعوةِ إلى زيادةِ الإنتاجِ ؟!.. أيُّ إنتاجٍ ننتظرُه ممن يسهرون حتى الصباحِ ، ويذهبون إلى أعمالِهم والنومُ يكسو وجوهَهم ؟!.. وياليتكم تسهرون لتوقظوا الناسَ ليتهجّدوا أو ليصلّوا الفجرَ ، عبادةً لله وشكرًا على نعمه ، ولو فعلتم لشكرناكم وأثنينا على عملكم !!.. إيّاكم أن تقولوا إنّكم بهذا البثِّ المتواصلِ إنّما تشدّون انتباهَ المشاهدين حتى لا ينصرفوا إلى محطاتِ التليفزيونِ الأجنبيةِ ، فقد امتلأت الأسطحُ (بالدّشّاتِ) التي حوّلت بالفعلِ انتباهَ المشاهدين إلى المحطاتِ التي تُقدِّمُ برامجَ أفضلَ من برامجكم .. ولا تنسوا أنّ معظمَ الشعبِ المصريِّ لا يملكُ تكاليفَ تركيبِ (الدّشِّ) .. إذن ، فإنّكم إذا أنْهيتم الإرسالَ في منتصفِ الليلِ مثلاً ، فستُعطون فرصةً لمعظمِ الناسِ لكي ينالوا قسطًا معقولاً من النومِ يُساعدُهم على إتقانِ أعمالِهم وزيادةِ إنتاجِهم .. ولكن يبدو أنّكم لا تَهتمّون براحةِ الناسِ ولا بزيادةِ الإنتاجِ !!.. إنكم بما تفعلونه تُقدّمون خدمةً جليلةً للشيطانِ ، فقد حملتم عنه

عبئًا كبيرًا في مجالِ إفسادِ البشرِ ، وإصابةِ المجتمعِ بالأذى والضررِ .. فما أسعدَ الشيطانِ بك ياتليفزيون يا .. مفسدة !!..

ياتليفزيون يا.. مفسدة !!.. لقد أنسيْتَ الناسَ أنّ شهرَ رمضانَ هو شهرُ الصّيامِ والصلاةِ والعبادةِ ، وجعلتَهم يُدركون أنّ رمضانَ هو شهرُ الرقصِ والخلاعةِ والفوازيرِ التافهةِ التي لا تمتُّ بصلةٍ إلى شهرِ رمضانَ !!..

ياتليفزيون يا .. مفسدة !!.. إيّاك أن تظنَّ أنك تُحسنُ استقبالَ رمضانَ بما تقدّمُه من برامجَ .. بل إنك تُسيءُ إلى رمضانَ أبلغَ إساءةٍ ، كما تُسيءُ إلى سائرِ الصائمين .. وبسببِ فوازيرك التافهةِ العديدةِ ، والتي ليس لها أهدافٌ مفيدةٌ أحجم الكثيرون عن صلاةِ التراويحِ ، وقلّتْ قراءةُ القرآنِ عند الصائمين .. وليتك تأخذُ إجازةً طوال شهرِ رمضانَ إلاّ من البرامجِ النظيفةِ الهادفة ، والمسلسلات الدينية الطيّبة ، حتى يتمكنَ المؤمنون من إحياءِ رمضانَ كما كانوا يفعلون قبلَ أن تدخلَ بيوتَنا !!..

ياتليفزيون يا .. مفسدة !!.. هل نسينا زعماءَنا الخالدي الذّكرِ ، الذين سطّروا تاريخَ وطننا بحروفٍ من نورٍ ، وضحَّوْا بأرواحهم وأموالهم في سبيلِ الوطنِ ، مثلَ عمر مكرم ومحمد كريّم اللذين أثقُ أنّ معظمَ أبنائنا لا يعرفون شيئًا عنهما ، ومثلَ مصطفى كامل ومحمد فريد وأحمد عرابي وسعد زغلول ومصطفى النحاس ومحمد نجيب وأحمد حسين وفؤاد سراج الدين ؟! هل

وصل بكم الجحودُ والنكرانُ إلى درجةِ إهمالِ محمد نجيب في احتفالاتكم بأعيادِ الثورةِ وعدمِ إعطائهِ حقَّه من التكريمِ ؟!.. بينما تحتفلون بذكرى المطربين والفنانين ، وكأنّ تاريخنا قد خلا من الزعماءِ الوطنيين ، ولم يَعُدْ فيه إلاّ المطربون والفنانون .. نحن لا نعترضُ على الاحتفالِ بذكرى الفنانين ، إذ أنّ منهم من قدّم لبلده ما هو جديرٌ بأن يُذكَرَ ويُحْمَدَ ، ولكننا نعترضُ على قصرِ الاحتفالاتِ على إحياءِ ذكرى الفنانين ، وإغفالِ ذكرى الزعماءِ الوطنيين ، الذين كان أكبرُ همّهم الدفاعَ عن وطنِهم مهما كلّفهم ذلك من مالِهم وصحّتِهم !!..

ياعبادَ الله ، اتّقوا الله فيما أعطاكم وفيما ولاّكم ، وأنزلوا الناسَ منازلَهم ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم ، وكونوا أوفياءَ لمن حرَموا أنفسَهم من الحياةِ ومُتَعِها ، ليَهَبُوا لكم الكرامةَ وليمنحوكم الحياةَ الكريمةَ !!.. ركّزوا على بطولاتِ زعمائنا وأعمالِهم ونضالِهم ، حتى يتّخذَ شبابُنا منهم القدوةَ الطيبةَ ويجعلوا منهم المثلَ الأعلى لهم ، بدلاً من أن نتركَهم يأخذون قدوتَهم ومثلَهم الأعلى من المطربين ، ويضعون السلاسلَ الذهبيةَ حول أعناقِهم وأيديهم !!..

لقد عرف أعداؤنا خطورةَ تأثيرِ التليفزيونِ على الأذهانِ ، فراح اليهودُ يملأون برامجَهم بموضوعاتِ الفسادِ ويُصدِّرونَها لمجتمعاتنا ، بينما يمنعونَها عن بيوتِهم ، ولقد ذكر لي أحدُ أقربائي الذين يعملون في شركةٍ كبرى للأليكترونياتِ في نيويورك ، أن الشركةَ تُصدِّرُ آلافَ أجهزةِ الفيديو

والتليفزيون يوميًا ، ومع ذلك لا يوجدُ في بيتِ صاحبِ الشركةِ (اليهوديِّ) جهازُ تليفزيونٍ واحد ، ويذكرُ أنه سأل صاحبَ الشركةِ عن سببِ ذلك ، فقال اليهوديُّ : (أنا لا أُدخلُ التليفزيونَ بيتي لأنه مُفْسدٌ) !!..

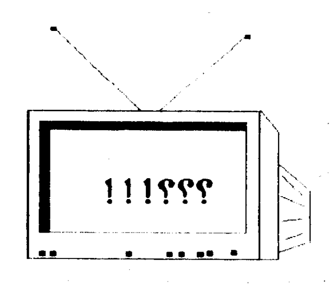
ولقد علمتُ أنّ بعضَ المدارسِ اليهوديةِ في أمريكا ، تشترطُ على أولياءِ الأمورِ ألاّ يكونَ في بيوتهم أجهزةُ تليفزيونٍ ، قبل أن يُقْبَلَ أبناؤُهم في هذه المدارسِ ، وإذا اكتشفت المدرسةُ يومًا وجودَ تليفزيونٍ في بيتِ طالبٍ ، فإنّها تفصلُه من المدرسةِ فورًا !! وهذا دليلٌ على إدراكِ اليهودِ لمدى الفسادِ الذي تتضمّنُه برامجُ التليفزيونِ ، التي يتعمّدون إعدادَها بمكرٍ وخبثٍ وينشرونَها!!

ياتليفزيون يا .. مفسدة !!.. هل تبلّد الإحساسُ لديك فلم تَعُدْ تراعي مشاعرَ المشاهدين وأذواقَهم بتكرارِ إعلاناتك السخيفةِ المتكرِّرةِ بشكلٍ يُوغرُ الصدورَ ويزيدُ النفورَ ؟؟!!.. فالإعلانُ السخيفُ يتكرَّرُ مرّاتٍ عديدةً ، في كلِّ برنامجٍ وفي كلِّ حلقةٍ من حلقاتِ أيِّ مسلسلٍ ، مما يُفقدُ المشاهدين اهتمامَهم بمتابعةِ البرنامجِ أو المسلسلِ ، وقد يكونُ الإعلانُ واحدًا ومملاًّ ، ويتكرّرُ خلالَ البرنامجِ الواحدِ وبصورةٍ مثيرةٍ للنفورِ ومضيِّقًا للصدورِ ، مثلَ ذلك الإعلانِ المملِّ والسخيفِ الذي يقطعُ برنامجَ " رئيسِ التحريرِ " الذي يتابعُه الملايينُ من المعجبين بموضوعاته القيّمة ، والذي ينتظرُه الناسُ بكلِّ اشتياقٍ ، وإذا بهذا الإعلانِ يشتِّتُ أذهانَ المشاهدين ، ويجعلُهم يُغمضون أعينَهم ، حتى يختفيَ ذلك الإعلانُ الذي يُرهقُ أعينَهم ويثيرُ اشمئزازَهم ويثيرُ كراهيتَهم للسلعةِ التي يتكلّمُ عنها الإعلانُ ، بما قد يؤثّرُ في حجمِ مبيعاتِها !!

إنك تثيرُ أعصابَ المشاهدين وتزيدُ نفورَهم واستياءَهم .. وتقلّدُ ما يحدثُ في محطاتِ التليفزيونِ الأمريكيةِ التي تتبعُ نفسَ الأساليبِ .. ونسيتَ أنّ تلك المحطاتِ تابعةٌ للقطاعِ الخاصِّ اليهوديِّ ، الذي لا يُهمُّه المشاهدون بقدرِ ما يُهمُّه جمعُ المالِ .. ولا يهتمُّ بنشرِ الفضائلِ بقدرِ ما يُهمُّه نشرُ الفسادِ والرذائلِ .. فمتى تفيقُ وتُدرِكُ هذه الحقائقَ ، ياتليفزيون يا .. مفسدة ؟!..

ألم يحُن الوقتُ بعدُ أيّها الناسُ ، المسئولون عن هذا المفُسدْيون " عفوًا " أقصدُ التليفزيونَ والعاملين فيه ، أن تُفيقوا إلى خطورةِ هذا الجهازِ ، وأن تُدركوا مدى تأثيرِه في مفاهيمِ شبابنا وأفرادِ أُسَرِنا وسلوكياتهم ، فتقدِّموا من البرامجِ ما يقوِّمُ السلوكياتِ ، ويُصحِّحُ العاداتِ ، ليصيرَ جهازًا مُصلِحًا وليس مُفسِدًا ، وحتى نستطيعَ أن نقولَ له بحقٍ :

يا تليفزيون يا .. مَحْمَدَة ، ولا نقولَ : يا تليفزيون يا .. مفسدة ؟؟!!..



الوفــــــــاءُ .. السلعةُ النادرةُ في هذا الزمانِ !!

الوفاءُ ..وإن أصبح سلعةً نادرةً في هذا الزمانِ ، إلا أنه برحمةِ الله موجودٌ .. ودليلُ بقيةِ الخيرِ الباقي في هذه الأيامِ .. فما أجملَ الوفاء !! وما أعظمَ الأوفياء !!..

الوفاءُ صفةٌ من أجملِ الصفاتِ الحميدةِ التي إن وُجِدَتْ في مجتمعٍ من المجتمعاتِ ، انتشر فيه الحبُّ ، وشاع بين أفراده السلامُ .. والوفاءُ ليس قاصرًا على بني الإنسانِ فحسب ، بل هو موجودٌ بين جميعِ مخلوقاتِ الله ، من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ وحتى الجمادِ أيضًا ، والوفاءُ في حقيقته ترجمةٌ صادقةٌ لحبٍّ وعطاءٍ متبادلٍ . فالإنسانُ الذي يحبُّك ويعملُ لصالحك ويضحّي من أجلك ، تشعرُ نحوه بالحبِّ والامتنانِ ، وتتمنى لو استطعتَ أن تردَّ له بعضَ الفضلِ ، وهذا هو الوفاءُ ، وكم سمعنا وقرأنا عن قصصِ التضحياتِ التي بذلها بعضُ الأوفياءِ من أجلِ من سبق أن أسْدَوْا إليهم ببعضِ الأفضالِ ، ويقولُ اللهُ تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ)، ويقولُ تعالى : (وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) .. والإحسانُ الذي هو جزاءُ الإحسانِ ، ما هو إلا الوفاءُ لمن بدأ بالإحسانِ ، وردُّ التحيةِ بأحسنَ منها هو صورةٌ من صورِ الوفاءِ ، وعندما يوصينا اللهُ تعالى بالوالدين في قوله تعالى : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ، وقوله : (فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) وقوله :(وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) ، ويقولُ الرسولُ الكريمُ صلى اللهُ عليه وسلم لأحدِ الأبناءِ : " أنت ومالُك لأبيك " ،

فالله سبحانه وتعالى ورسولُه الكريمُ يأمران بالوفاءِ للوالدين لما قدماه لنا من حبٍّ وعطاء .

ويقولُ الإنجيلُ : " نفسي دائمًا على كَفّي " ويقولُ أيضًا : " أَحبَّ قريبَك كنفسك " ، كما يقولُ : " الأخُ يولدُ وقتَ الشِّدَّة ".. وهذه الكلماتُ المقدَّسةُ ما هي إلا دعوةٌ للبذلِ والعطاءِ أو فَلْنَقُلْ إنّها دعوةٌ إلى الوفاءِ .. وكم من قادةٍ أو حُكّامٍ ممن أخلصوا لشعوبِهم وسهروا على مصالحِ أوطانِهم ، ساندتْهم شعوبُهم عندما تعرّضوا للإنقلاباتِ العسكريةِ والمؤامراتِ ، وانتصرتْ لهم شعوبُهم ، وربما سقط منهم الشهداءُ ، وفاءً لقادتِهم وزعمائِهم ، الذين أخلصوا لأوطانِهم ، وحرصوا على مصالحِ شعوبِهم !!..

والوفاءُ في الحيوانِ له أمثلةٌ كثيرةٌ ، ولعلنا نتذكرُ قصةَ الرجلَ الذي رأى أسدًا يزأرُ من شدةِ الألمِ وهو يرقدُ على الأرضِ ، فاقترب الرجلُ من الأسدِ مخاطرًا بحياته ، فوجد شوكةً كبيرةً في قدمِ الأسدِ ، فانتزعها الرجلُ ، وربطَ مكانَ الألمِ بقطعةٍ من ثيابه .. وذاتَ يومٍ وقعَ الرجلُ أسيرًا لرجالِ سلطةٍ جائرةٍ ، ووضعوه في حلبةِ الموتِ حيث أطلقوا عليه أسدًا جائعًا ليفترسَه ، فإذا بالأسدِ يقتربُ من الرجلِ شيئًا فشيئًا وكأنه يشمُّ رائحتَه ، ثم يجلسُ أمامَه واضعًا رأسَه على فخذِ الرجلِ في حُنُوٍ شديدٍ ،وعرفه الرجلُ ، فقد كان نفسَ الأسدِ الذي انتزع من قدمه الشوكةَ يومًا ما ، وقد أصابَ هذا المشهدُ جميعَ المشاهدين بالذهولِ الكبيرِ ، وكان الملكُ وحرّاسُه ضمنَ المشاهدين ، فأصدر الملكُ قرارَه بإطلاقِ سراحِ الرجلِ الأسيرِ ، ولكنّ الرجل

اشترط لإطلاقِ سراحِه أن يُطْلَقَ سراحُ الأسد أيضًا لأنه كان سببًا في إنقاذ حياته ، فتعجَّبَ الملكُ أكثرَ ، وكان ذلك درسًا بليغًا في العفوِ والوفاء ، تعلَّمَه الحاكمُ ، فأطلقَ سراحَ الرجلِ ، والأسد ، وبقيةَ الأسرى والسجناء ، وتحوَّلَ الحاكمُ الجائرُ إلى حاكمٍ عادلٍ ، فأحبته رعيتُه ، وانتشر في مجتمعه الأمنُ والمحبةُ والسلامُ !!..

وسواءً كانت هذه القصةُ واقعيةً أم كانت من رسمِ الخيالِ ، فإنّها ترمزُ إلى الوفاءِ وآثارِه الطيبةِ ، ناهيك عن القصصِ العديدة التي تُرْوَى عن وفاءِ الكلابِ ، والتي منها قصةُ الكلبِ الذي اشتدَّ المرضُ بصاحبه ، فرقد الكلبُ بجوارِ سريرِ صاحبه ، وامتنع عن الطعامِ والشرابِ ، وكان الكلبُ " يزومُ " كأنه يبكي ، وكان مَنْ يراه يتألَّمُ له كما يتألَّمُ للمريضِ .. ولما مات صاحبُ الكلبِ وشيَّعوا جنازتَه ، عادوا إلى البيتِ فلم يجدوا الكلبَ .. وبعد ثلاثة أيامٍ ذهبَ أهلُ المُتَوَفَّى لزيارة قبرِه ، فوجدوا الكلبَ راقدًا بلا حراكٍ بجوارِ قبرِ صاحبه ، وقد فارقَ الحياةَ ، فقد آثرَ الموتَ على أن يبقى بعد موتِ صاحبه !!.. إنه الوفاءُ الذي أودعه اللهُ قلوبَ مخلوقاته !!..

وقد أثبت أخيرًا علماءُ النباتِ أن النباتَ يفرحُ ويحزنُ ، وأنّ بعضَ الزهورِ قد تنكمشُ حُزْنًا إذا غاب عنها من يتعهدُها بالرعاية ، فإذا حضر انفردتْ وازدهرتْ أوراقُها ، وانتعشتْ تعبيرًا عن فرحِها .. وقد ذكرَ لي أخي الأكبرُ أن لديه شجرةَ عنبٍ تظلّلُ سطحَ منزله وقال إنه يتعهدُها بالتقليمِ والرعايةِ بنفسه ، ويقضي وقتَ فراغه في ظلّها ، وينامُ بعضَ الليالي تحتَها ، فتثمرُ بكثرةٍ وتزدادُ حلاوةُ الطَّعمِ في عنبِها ، فإذا ما اضطرَّته الظروفُ إلى

السفرِ بعيدًا عنها ، فإنه يعودُ فيجدُ أن إنتاجَها قد انكمش ، وأن طعمَ عنبها قد تغيَّرَ ، ويقولُ كأنَّ الشجرةَ تأثرتْ بغيابه ، وقد لاحظتُ بنفسي صدقَ ما يقولُ أخي .. ولاشك في حقيقةِ ذلك بعد أن أثبتَ العلماءُ أن النباتَ يفرحُ ويحزنُ .

إن كلَّ الأديانِ السماوية ، الإسلامِ والمسيحيةِ واليهوديةِ تحثُّ على الوفاءِ ، وتعلّمُنا أن من لا وفاءَ له لا دينَ له .. فالشهيدُ الذي يضحِّي بحياته في سبيلِ وطنه ، إنما يفعلُ ذلك وفاءً لما أعطاه هذا الوطنُ ، والإنسانُ الذي تضطرُّه الظروفُ إلى الهجرةِ ، يعاودُه الحنينُ لزيارةِ بلدِه وأهلِه بين الحينِ والآخَرِ ، وهناك من لا يستطيعُ الاستمرارَ في الاغترابِ فيتخذُ قرارَه بالعودةِ إلى وطنِه ، وما هذا إلا ترجمةٌ للوفاء !!..

إن نبيَّ الإسلامِ محمدًا صلى اللهُ عليه وسلم ، عندما اضطُّرَّ إلى الهجرةِ من بلدِه مكةَ إلى المدينة ، وقف على مشارفِ مكةَ ونظر إليها مُوَدِّعًا والحزنُ يملأُ قلبَه وقال : " واللهِ ، إنكِ لأَحَبُّ بقاعِ الأرضِ إلى قلبي ، ولولا أن أهلَكِ أخرجوني ما خَرَجْتُ " ..وعندما نصرَه اللهُ وعاد إلى مكةَ فاتحًا ، جمع أهلَ مكةَ وقال لهم : " ما تظنون أني فاعلٌ بكم ؟ " ، قالوا : أخٌ كريمٌ وابنُ أَخٍ كريمٍ .. فقال : " لا تثريبَ اليومَ عليكم ، اذهبوا فأنتم الطُّلَقَاءُ " وعفا عنهم جميعًا ، وما ذلك إلا وفاءً لبلدِه وأهلِ بلدِه !!..

إنّ الإنسانَ الذي يرى نظرةَ الحبِّ في عيونِ الأوفياءِ حولَه ، يشكرُ اللهَ أن وفَّقَه فأخلصَ في عملِه ، وفاض عطاؤه ، فأحبَّه الناسُ .. إنه يشعرُ بسعادةٍ لا يستطيعُ أن يصفَها بقدرِ ما يحسُّها ، إنه يشعرُ بالرضى عن نفسِه ، ويتمنَّى

لو أنه زاد في إخلاصه وعطائه حتى تزدادَ نظراتُ الحبِّ في عيونِ الأوفياء ، وتتضاعفَ سعادتُه التي لا تعادلُها أموالُ الدنيا مهما كثرتْ .

آه لو علِمَ الناسُ طعمَ هذه السعادةِ وتأثيرَها في النفسِ لسارعوا إلى مزيدٍ من الوفاءِ والإخلاصِ والعطاءِ الذي يأسِرُ القلوبَ ، ويزيدُ نظراتِ الحبِّ في عيونِ الأوفياءِ !!..

فلماذا أيها العقلاءُ لا نكونُ من هؤلاءِ المخلصين المعطائين ؟!. إننا نستطيعُ أن نجمعَ حولنا الكثيرين من الأوفياءِ ، والسبيلُ إلى ذلك بسيطٌ ومعروفٌ ، إخلاصٌ ، وعطاءٌ ، ووفاءٌ !!..

فهل لنا إلى ذلك من سبيلٍ ؟؟!!..

الموسيقى التصويريةُ .. عفوًا .. التشْويهيةُ !!

لاشكّ أن المخرجَ فنانٌ والذي يضعُ الموسيقى التصويريةَ أيضًا فنانٌ ، ولكن مما لاشكَّ فيه أيضًا أن الفنَّ درجاتٌ ، وأن الفنانين مستوياتٌ .. وقد يكونُ أحدُهم فنانًا وجديرًا بلقبِ الفنانِ .. ويعتقدُ بعضُ الفنانين من المخرجين ومؤلفي الموسيقى التصويريةِ أنهم يُحسنون صنعًا بكلّ ما يُقدّمونه من تصويرِ موسيقيٍّ مصاحبٍ للمشاهدِ التمثيليةِ ، والمؤثّراتِ الصوتيةِ ، ونقولُ : نعم .. إن الموسيقى التصويريةَ هامةٌ ، وكذلك المؤثّراتُ الصوتيةُ لأنها تُهيّئُ جوًا مناسبًا وخلفيةً تُعبّرُ عن مضمونِ المشهدِ الذي يُعرَضُ ، مما يُساعدُ الْمُشَاهِدَ على أن يعيشَ وجدانيًا مع المشهدِ الذي يُعْرَضُ ، وتستطيعُ الموسيقى التصويريةُ أن تُصاحبَ المشاهدَ الصامتةَ أثناءَ تحرّكِ الممثلين أو استغراقِهم في التفكيرِ مثلاً ، وغيرَ ذلك من المشاهدِ الصامتةِ التي لا يكونُ فيها حوارٌ.. ولكن مما يُثيرُ استغرابَنا ، بل واستياءَنا ومللَنا ، أننا نجدُ أحيانًا أنّ الموسيقى التصويريةَ لا تتوقفُ أثناءَ الحوارِ مما يُشوّشُ على أسماعِ المشاهدين ، خاصةً إذا كان صوتُ هذه الموسيقى عاليًا ، بحيث يُغطّي على أصواتِ الممثلين ، فلا يدري المشاهدون ما يقولُه الممثلون ، وينشغلُون عن متابعةِ أحداثِ المشاهدِ بالتفكيرِ في أسبابِ هذا الصخبِ الذي يدّعي مقدّموه أنه موسيقى تصويريةٌ ، بينما الأجدرُ به أن يُسمَّى .. الموسيقى التشويهيةَ !!..

وكذلك المؤثّراتُ الصوتيةُ التي تكونُ أحيانًا مُبالغًا فيها .. فمثلاً إذا كان المشهدُ على شاطئِ البحرِ ، فإننا نسمعُ المؤثّراتِ الصوتيةَ التي تُمثّلُ أصواتَ الأمواجِ والرياحِ بطريقةٍ تطغَى على أصواتِ الممثلين .. ومما يغيظُ أننا أحيانًا نجدُ المؤثّراتِ الصوتيةَ المصاحبةَ لمشهدٍ في شارعٍ ، هي نفسُ المؤثّراتِ التي نجدُها في حجرةٍ في بيتٍ ، أو أثناءَ حوارٍ بين اثنين ، أو في مستشفىً حيث يجبُ أن يكونَ السكونُ والهدوءُ متوفّرًا ، فإذا كنا نحن المشاهدين نلاحظُ ذلك ، فكيف لا يُلاحظُه المخرجون ؟!!..

ألا يُشاهدُ المخرجون هذه المشاهدَ عند عرضِها سواءً على الشاشةِ الصغيرةِ أو الكبيرةِ ، حتى يلاحظوا ما نلاحظُه من تشويهِ هذه الموسيقى والمؤثّراتِ للمشاهدِ أثناءَ الحوارِ ؟!.. وربما لا يلاحظون ما نلاحظُه ، لأنهم يحفظون نصَّ الحوارِ الذي يدورُ ، فلا يُهمُّهم أن يسمعوه أم لا .. ولكن الأمرَ يختلفُ بالنسبةِ للمشاهدين الذين لا يعرفون نصَّ الحوارِ الدائرِ .. فمتى يُدركُ المخرجون أن نجاحَ أعمالِهم يتوقفُ على توافقِ هذه الأعمالِ مع أذواقِ المشاهدين واقتناعِهم بما يُشاهدونه ، وليس على ما يؤمنُ به المخرجون من نظرياتٍ أو ما يدّعونه من فلسفاتٍ لا تنسجمُ مع قناعاتِ المشاهدين ، كما يجبُ أن يفهمَ الفنانون أن الحكمَ على مدى نجاحِ أعمالِهم ، يرجعُ إلى رضاءِ المشاهدين أكثرَ مما يرجعُ إلى رضاءِ الكتّابِ أو النقّادِ .. لأن الناقدَ حينما ينقدُ عملاً فنيًا فإنه أحيانًا ينظرُ إلى العملِ من زاويةٍ أكاديميةٍ ونظرياتٍ فلسفيةٍ قد تكونُ أجنبيةً ، ولا تتفقُ مع وجدانِ جمهورِ المشاهدين الوطنيين ..

فمتى يفهمُ المخرجون ذلك ، ويُحدّوا من صخبِ المؤثّراتِ الصوتيةِ والأصداءِ المبالَغِ فيها ، ويُقلّلوا من حشرِ الموسيقى التصويريةِ أثناء الحوارِ ، حتى لا تُشوِّهَ المشاهدَ ، وحتى تكونَ بحقٍ موسيقى تصويريةً ، ولا نقولُ إنَها موسيقى تشويهيةٌ ؟؟!!..

مسابقةُ الكهرباءِ .. المتقاطعةِ !!

كنتُ في فترةٍ من الفتراتِ من هواةِ حلِّ مسابقةِ الكلماتِ المتقاطعةِ ، لدرجةِ أني أصبحتُ أصمِّمُ بعضَها وأرسلُها إلى بعضِ المجلّاتِ والجرائدِ ، وبعضُها نُشرَ في جريدةِ بلادي التي تصدرُ في نيوجيرسي في الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ .. ولقد توقفتُ منذ فترةٍ عن تصميمِ هذه المسابقاتِ ، لأن انتباهي قد شُدَّ إلى مسابقةٍ جديدةٍ تحيِّرُ العقولَ الذكيةَ ، وتُعْجزُ الأذهانَ الفتيةَ .. فمنذ ظهورِ هذه المسابقةِ الجديدةِ والتي تُعتَبَرُ في نوعِها فريدةً ، لم يستطعْ أحدٌ مهما كان ذكاؤه ، ومهما اشتدّ بلاؤُه ، أن يحلَّ طلاسمَ هذه المسابقةِ العجيبةِ ، أو يفهمَ أسرارَها الرهيبةَ .. وأنا واحدٌ ممن عجزوا عن حلِّ هذه المسابقةِ أو فهمِ المقصودِ منها ، وأعتقدُ أن مصمِّمَها نفسَه سوف يعجزُ عن حلِّها ، أو وضعِ حدٍ لغموضِها .. وقد شَغَلَتْ هذه المسابقةُ الملايينَ من أبناءِ بلدنا الذين أعلنوا عجزَهم عن حلِّ أو فهمِ الحكمةِ من هذه المسابقةِ ، حتى أنَهم يقضون أوقاتًا طويلةً وهم يضعون رءوسَهم على أيديهم من اليأسِ والحيرةِ وكثرةِ السّهرِ ، بل ومن شدَّةِ الضيقِ والضجرِ ، حتى تعدَّى الأمرُ مراحلَ اليأسِ والضيقِ ، والتي لم ينفعْ فيها عدوٌ أو صديقٌ .. إلى مرحلةِ الخسائرِ الماديّةِ التي نجمتْ عن توقفِ المصالحِ والأعمالِ ، وضاع بسببِها الكثيرُ من الأموالِ .. بسببِ انتشارِ هذه المسابقةِ الحديثةِ ، التي أصبحتْ تُشكّلُ كارثةً بكلِّ المقاييسِ ، يعجزُ عن الإتيانِ بمثلِها إبليسُ !!..

ولعل القرّاءَ يتساءلون عن ماهيةِ هذهِ المسابقةِ التي شغلت الملايينَ ، والتي أصبحت من أهمِّ أسبابِ ضياعِ الأوقاتِ وزيادةِ حدَّةِ الاحتجاجات ، وخفضِ معدلاتِ الإنتاجِ في المصانعِ والشركاتِ ، وحتى في البيوتِ والمحلاّتِ وأثّرتْ على نتائجِ الامتحاناتِ ، مما أوغر الصدورَ ، لدى سائرِ المواطنين وأولياء الأمورِ !!.. هذه المسابقةُ هي من أحدثِ المسابقاتِ وأعقدها ، واسمُها مسابقةُ الكهرباء المتقاطعة .. ويُشرفُ على تصميمها وإخراجها رجلٌ هامٌ بدرجةِ وزيرٍ هو وزيرُ الكهرباءِ ، ويُعاونُه فريقٌ هائلٌ من مصمّمي هذه المسابقةِ الفريدةِ من نوعِها على مستوى العالمِ كلّه ، وجيشٌ جرّارٌ من العاملين والمنظمين والمراقبين لهذه المسابقةِ .. ونظرًا لأن هذه المسابقةَ شدّتِ اهتمامَ الشعبِ المصريِّ كلّه ، وأكثرتْ من همِّه وغمِّه ، فإن الوزارةَ تقذفُ على العاملين فيها بالأرباحِ قذفًا ، وترمي عليهم بالمكافآتِ رميًا ، تقديرًا لدورِهم البارزِ في حيرةِ العقولِ وتعميمِ الذهولِ وإعدامِ الدخولِ !!..

ومن مظاهرِ هذه المسابقةِ على سبيلِ المثالِ ، وليس الحصر بطبيعةِ الحالِ ، أنك تكونُ جالسًا أمامَ التليفزيونِ ، تتابعُ أخبارًا هامةً في نشرةِ الأخبارِ ، أو حلقةً شيّقةً في مسلسلٍ شيّقٍ ومختارٍ ، أو حديثًا دينيًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا ، ثم تُفاجأُ في الكهرباءِ بانقطاعِ التيارِ ، ودون سابقِ إنذارٍ ، فيتولاّك الهمُّ والغمُّ .. ولا يُنقذُك خالٌ ولا عمٌّ .. وقد تكونُ طالبًا تراجعُ المراجعةَ النهائيةَ في الليلةِ الأخيرةِ قبيلَ الامتحانِ ، الذي يُكْرَمُ فيه المرءُ أو يُهانُ .. وتريدُ أن تلخّصَ النقاطَ الهامةَ لما ذاكرتَه ، وما قرأتَه ودرستَه .. ثم

تُفاجأُ بانقطاعِ الكهرباءِ ، لتبدأ رحلةً من الشقاءِ .. وكأن المسئولين في وزارةِ الكهرباءِ يقولون لك : (اتخمدْ بقى ، يعني لازم تجيب في الثانويةِ الدرجاتِ النهائيةَ .. ماكفاية عليك شهادة الابتدائية أو الإعدادية ، أو حتى شهادة الميلاد ؟!)

وقد تكونُ صاحبَ استوديو للتصويرِ ، الذي تتمنّى منه الرزقَ الوفيرَ ، وعندك عددٌ من الزبائنِ ، الجالسين في طابورٍ كالرهائنِ .. ثم تُفاجأُ بانقطاعِ الكهرباءِ فينصرفُ الزبائنُ ، دون أن تدريَ المتسبِّبَ والخائنَ .. ويخرجُ الناسُ وهم خائفون ، ويعلمُ اللهُ متى سيعودون !!..

وقد تكونُ محاميًا تُعدُّ المذكّرةَ التي ستقدّمُها صباحَ الغدِ للمحكمةِ ، دفاعًا عن شكايةٍ أو مظلمةٍ .. لموكّلِك المسكينِ البريءِ ، الضائعِ في متاهاتِ القانونِ البطيءِ .. فيصدمُك انقطاعُ الكهرباءِ ، مما قد يؤثّرُ في قوّةِ حجّتِك لإثباتِ البراءةِ لموكّلِك ، ثم في ثقةِ عملائِك في كفاءتِك !!..

وأذكرُ أنني كنتُ في زيارةٍ لأحدِ الأصدقاءِ ، وأثناءَ وجودي في المصعدِ عند النزولِ وكنتُ (أُدندنُ) بالغناءِ وأقول : ياليل ياعين ، فإذا بالنورِ ينطفئُ والمصعدِ يتوقفُ بين دَوْرَيْن ، وإذا بالأغنية تتحوّلُ إلى ليلٍ كئيبٍ وإلى عينٍ باكيةٍ ، وفتحتُ بابَ المصعدِ فلم أجدْ إلاّ حائطًا مسدودًا ، لا أعرفُ له شكلاً ولا حدودًا .. فظللتُ أصرخُ دون أن يسمعَني أحدٌ ، وبدأ بدني

يرتجفُ بشدّةٍ ويرتعدُ .. ورحتُ (رغمَ أنفي) في سُبَاتٍ عميقٍ ، أحلُمُ بكوارثَ وحريقٍ .. ولم يوقظْني منه إلاّ أصواتُ المشفقين عليّ بعد عودةِ الكهرباءِ ، ولطفِ اللهِ في القَدَرِ والقضاءِ !!..

وحكا لي أحدُ الأصدقاءِ ، الذي يسكنُ في حيٍّ يُسَمَّى (بأرضِ اللواءِ) ، بالمهندسين ، أن التيارَ الكهربيَّ انقطع عن الحيِّ يومًا ، مما زاد أهلَ الحيِّ همًّا وغمًّا ..وظلّ لساعاتٍ طويلةٍ ، ولما عاد التيارُ كان بقوّةٍ أعلى من الفولتِ المعتادِ ، فإذا بجميعِ الأجهزةِ الكهربائيةِ تحترقُ ، من ثلاّجاتٍ وتليفوزيوناتٍ ومسجّلاتٍ وكمبيوتراتٍ وغيرِ ذلك !!. وطبعًا لم يهتم بهذه الكارثة أحدٌ من المسئولين عن الكهرباءِ ، ولم يجد الضحايا من يُعوِّضُهم عن هذه الخسائرِ .. ممن ماتت لديهم الضمائرُ .. وهنا تذكّرتُ على الفورِ ، أنني أثناء زياراتي المتعدّدة للولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ ، التي امتدّ بعضُها إلى ثلاثةِ أشهرٍ ، وبعضُها امتدَّ إلى خمسةِ عشرَ شهرًا ، وتذكّرتُ أن التيارَ الكهربيَّ لم ينقطعْ في أيِّ يومٍ ولو للحظةٍ ، طوالَ هذه المُدَدِ .. وقد يقولُ قائلٌ : ربما تكونُ مصادفةً .. وأقولُ : ربما ، ولكن هذا بالفعلِ ما رأيتُه ولاحظتُه !!..

وأعتقدُ أن حُمْرَةَ الخجلِ لا تعرفُ طريقًا إلى وجوهِ جميعِ المسئولين عن الكهرباءِ في بلدنا ، الذين يُضاعفون من غيظِنا وكمدنا .. إذ لو عرف الخجلُ وجوهَهم لقدّموا فورًا استقالاتهم ، تعبيرًا عن سلبياتهم .. كما يفعلُ الشرفاءُ في الدولِ المتحضّرةِ ، لا في الدولِ المنكوبةِ المتكدّرةِ .. وكم سمعنا عن وزراءَ في حكوماتٍ أجنبيةٍ ، وبشجاعةٍ أدبيةٍ .. اعتذروا عن مصائبِهم ، أواستقالوا

من مناصبهم ، إذا حدثت كوارثُ أو أخطاءٌ في مجالِ وزاراتهم ، باعتبارِ أنهم مسئولون بالدرجةِ الأولى عما يحدثُ في مجالِ مسئولياتهم .. وكم سمعنا عن قضايا التعويضاتِ التي يرفعُها المتضرّرون من هذه الكوارث ، نتيجةً لهذه الحوادثِ .. حتى يُعوّضوا خسائرَهم ، ويُصلحوا أمرَهم .. أما عندنا فأيُّ مسئولٍ لا يتركُ منصبَه إلاّ بإحدى وسيلتين ، أو قل بإحدى مصيبتين ، إما أن يُقالَ بقرارٍ من رئيسٍ جليلٍ ، وإما أن يموتَ بقبضةٍ من عزرائيلَ .. أما قضايا التعويضاتِ فلا تجدُ إلاّ النذرَ اليسيرَ ، بالنسبةِ للضائعِ الكثيرِ .. مما لا يمسحُ من العيونِ الدموعَ ، ولا يُسمِنُ ولا يُغْني من جوعٍ !!..

هذه هي المسابقةُ الفريدةُ من نوعِها التي يشتركُ فيها المواطنون رغم أنفهم ، حتى لو أدّت إلى حتفهم .. (مسابقةُ الكهرباءِ المتقاطعةِ) وعلى المتضرّرين ألاّ يلجأوا إلى القضاءِ ، ولكن لهم كلُّ الحقِّ أن يصرخوا في الفضاءِ ، أو ينادوا في الصحراءِ ، أو يكتبوا شكاواهم على صفحاتِ الماءِ ، أو يقذفوا بها في الهواءِ !!..

وأستأذنُ القرّاءَ الأعزّاءَ ، للانصرافِ قبل أن تحلَّ المسابقةُ وتنقطعَ الكهرباءُ .. وإلى نَكَدٍ وغمٍّ جديدٍ وإلى اللقاءِ !!..

نصيحةٌ !!

ياللّي انت بمنصِبَك مُخْتال وفخور !.

الدنيا زايله والزمان بِيْدُور!.

الكرسي تحتَك شاف ذئاب وغور!.

لو ينطق الكرسي ، يكشف المستور !.

زيّ برّاد الشّاي ، لما يوم بِيْفور !.

يِحْكِي عن إنسان كريم ووقور!.

تلْقَاه في الحق ، كلّه حماس وغيور !.

وغيره كان شيطان ، أكول وكفور! .

في العمل زيرو ، وباللقب مغرور! .

نصيحه ، إوْعَى تظلم يوم وتجور !.

ده الكون لُه ربّ اسمه حليم وغفور! .

خلّي ابتسامتك تسبق كلامك !.

تفضل في العيون باحترام موفور !!..

لِمَاذَا أَسْلَمَ هذا الرَّجُلُ ؟؟!!..

اسمُه الدكتور ملير .. كان من المبشرين النشطين جدًا في الدعوةِ إلى المسيحيةِ وهو أيضًا من الذين لديهم عِلْمٌ غزيرٌ بالكتابِ المقدَّسِ **Bible** .. وهذا الرجلُ يُحبُّ الرياضياتِ بشكلٍ كبيرٍ ، لذلك يحبُّ المنطقَ أو التسلسلَ المنطقيَّ للأمورِ .. وفي أحدِ الأيامِ أراد أن يقرأَ القرآنَ ، بقصدِ أن يجدَ فيه بعضَ الأخطاءِ التي تُعزِّزُ موقفَه ، عندما يدعو المسلمين للدّينِ المسيحيِّ .. وكان يتوقّعُ أن يجدَ القرآنَ كتابًا قديمًا مكتوبًا منذ أربعةَ عشرَ قرنًا ، يتكلّمُ عن الصحراءِ والجمالِ والخيامِ وما إلى ذلك .. ولكنه ذُهِلَ مما وجد فيه ، بل واكتشف أنّ هذا الكتابَ يحتوي على أشياءَ ، لا توجدُ في أيِّ كتابٍ آخرَ في هذا العالَمِ .. وكان يتوقّعُ أن يجدَ بعضَ الأحداثِ العصيبةِ التي مرّتْ على النبيِّ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، مثلَ وفاةِ زوجتِه خديجةَ رضي اللهُ عنها ، أو وفاةِ بناتِه وأولادِه .. ولكنه لم يجدْ شيئًا من ذلك ، بل الذي جعله في حيرةٍ من أمرِه ، أنه وجد أنّ هناك سورةً كاملةً في القرآنِ ، تُسَمَّى سورةَ " مريم " وفيها تشريفٌ لمريمَ عليها السلامُ ، لا يوجدُ مثيلٌ له في كتابِ النصارى ولا في أناجيلِهم .. ولم يجدْ سورةً باسمِ " عائشةَ " أو" فاطمةَ " رضي اللهُ عنهما، وكذلك وجد أنّ عيسى عليه السلامُ قد ذُكِرَ بالاسمِ خمسًا وعشرين مرّةً في القرآنِ ، في حينِ أنّ النبيَّ محمدًا صلى اللهُ عليه وسلم ، لم يُذْكَرْ إلاّ خمسَ مرّاتٍ فقط ، فزادتْ حيرةُ الرجلِ .. وأخذ يقرأُ القرآنَ بتمعُّنٍ أكثرَ ، لعلّه

يجدُ مأخذًا عليه !.. ولكنه صُعقَ بآية عظيمة وعجيبة ، ألا وهي الآيةُ رقم " ٨٢ من سورةِ النساء " [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا] ..

ويقولُ الدكتور ملير عن هذه الآية : (من المبادئ العلمية المعروفة في الوقتِ الحاضرِ هو مبدأُ إيجادِ الأخطاء أو تقصّي الأخطاءِ في النظرياتِ إلى أن يثبتَ العكسُ) **Falsification Test** .. والعجيبُ أنّ القرآنَ الكريمَ يدعو المسلمين وغيرَ المسلمين ، إلى إيجادِ الأخطاءِ فيه ولن يجدوا .. ويقولُ أيضًا عن هذه الآية : (لا يوجَدُ مؤلّفٌ في العالَمِ يمتلكُ الجرأةَ ويُؤلّفُ كتابًا ثم يقولُ : هذا الكتابُ خالٍ من الأخطاءِ ، ولكن القرآنَ على العكسِ تمامًا ، يقولُ لك : لا توجَدُ أخطاءٌ ، بل ويعرِضُ عليك أن تجدَ فيه أخطاءَ ولن تجدَ)

أيضًا من الآياتِ التي وقف الدكتور ملير عندها طويلاً ، هي الآيةُ رقم "٣٠ من سورةِ الأنبياءِ " [أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ] ويقولُ : (إنّ هذه الآيةَ هي بالضبطِ موضوعُ البحثِ العلميِّ الذي حصُل على جائزة نوبل في عامِ ١٩٧٣ ، وكان عن نظريةِ الانفجارِ الكبيرِ ، وهي تنصُّ على أنّ الكونَ الموجودَ هو نتيجةُ انفجارٍ ضخمٍ ، حدث في الكون بما فيه من سماوات وكواكبَ .. فالرّتقُ هو الشيءُ المتماسِكُ ، في حينِ أنّ الفتقَ هو الشيءُ المتفكّكُ .. فسبحان الله !!..

نأتي إلى الجزءِ الآخَرِ من الآيةِ ، وهو الكلامُ عن الماءِ كمصدرٍ للحياةِ .. يقولُ الدكتور مليرِ : (إنّ هذا الأمرَ من العجائبِ ، حيث أنّ العلمَ الحديثَ أثبت مؤخرًا أنّ الخليّةَ الحيّةَ تتكوّنُ من " السّيتوبلازم " الذي يُمثّلُ ثمانين في المائةِ منها .. و" السّيتوبلازم " مُكَوَّنٌ بشكلٍ أساسيٍّ من الماءِ .. فكيف لرجلٍ أمّيٍّ عاش قبل ١٤٠٠سنةٍ ، أن يعلمَ كلَّ هذا لولا أنّه مُوَصَّلٌ بالوحيِ من السماءِ ؟؟!!.. فسبحان اللهِ !!..إنّ هذا جزءٌ يسيرٌ من سيرةِ هذا الرجلِ !!..

والدكتور مليرِ اعتنق الإسلامَ عامَ ١٩٧٧ ، ومن بعدها بدأ يُلقي المحاضراتِ في أنحاءِ العالَمِ .. ولديه الكثيرُ من المناظراتِ مع رجالِ الدّينِ المسيحيِّ الذي كان هو أحدَهم .. وقال في أحدِ محاضراته ، وكان يُوجّهُ كلامَه لجميعِ المسلمين : (ياأيّها المسلمون ، لو أدركتم فضلَ ما عندكم ، إلى ما عند غيرِكم لسجدتم للهِ شكرًا ، أن أنبتَكم من أصلابٍ مسلمةٍ ، وربّاكم في محاضنَ مسلمةٍ ، ومنَّ عليكم بهذا الدّينِ !! لو نظرتم إلى مدلولِ الإلهيةِ .. الرسالةِ .. النبوّةِ .. البعثِ .. الحسابِ .. الجنّةِ .. النارِ.. عندكم وعند غيرِكم ، لسجدتم للهِ شكرًا ، أن جعلكم مسلمين .. لأنّ هذه المفاهيمَ عند أصحابِ الدياناتِ الأخرى ، مفاهيمُ لا يرتضيها العقلُ السَّويُّ ، ولا الفِطرةُ السليمةُ ، ولا المنطقُ السليمُ !!..

والدكتور مليرِ لديه الكثيرُ من المؤلّفاتِ عن الإسلامِ ، منها : (القرآنُ المذهلُ – الفرقُ بين القرآنِ والكتابِ المقدَّسِ – نظرةٌ إسلاميةٌ لأساليبِ

المبشرين) .. والكثيرُ من المؤلّفاتِ الأخرى .. وهي متوفّرةٌ على الإنترنت باللغةِ الإنجليزيةِ .

هذا الرجلُ أسلم على يديه الكثيرُ من الناسِ من جميعِ أنحاءِ العالَمِ .. والدكتور مِلير لديه الكثيرُ من الخبراتِ في أسلوبِ الدعوةِ .. وقد استفاد الكثيرُ من الدعاةِ من خبراتِه كالشيخِ " أحمد ديدات " الذي دعاه إلى جنوبِ إفريقيا في الماضي ، لإلقاءِ بعضِ المحاضراتِ وإقامةِ المناظراتِ .. والدكتور مِلير يتمنّى أن يُحاضرَ عن الإسلامِ ، ولكن لا أحدَ يدعوه لذلك .. فهل أنتم فاعلون !!..

والذي يريدُ الاستزادةَ ، بإمكانِه التواصلُ مع الدكتور مِلير ، عن طريقِ البريدِ الإليكترونيّ gmiller@kfupm.edu.sa

من مظاهرِ العدلِ في الإسلامِ

في هذا الموضوعِ أقولُ لكلِّ من يتّهمُ الإسلامَ بأنه دينُ عُنْفٍ وإرهابٍ : هل قرأتم شيئًا عن تاريخِ الإسلامِ حتى تحكموا عليه كذبًا وبُهتانًا وافتراءً ؟!..

ألا تعلمون أن أبسطَ قواعد العدلِ ألاّ نتسرّعَ بالحكمِ على أمرٍ من الأمورِ قبل أن نتبيّنَ حقيقتَه ، وألاّ نأخذَ فقط بما يُقالُ دون أن نتحرّى الدّقّةَ فيما نسمعُ وفيما يُقالُ ؟! ويقولُ اللهُ تعالى :[يَأَيُّهَا الّذينَ ءَامَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ] ٦٠ الحجرات٠

ومن يتصفّحُ التاريخَ الصحيحَ يستطيعُ أن يقفَ على الحقائقِ ، التي تساعدُه على معرفةِ الفرقِ بين الحقِّ والباطلِ ، وبين الصدقِ والبهتانِ ، وبين الظلماتِ والنورِ !!.. والتاريخُ مليءٌ بالصفحاتِ الصادقةِ والمشرقةِ ، والتي اقتنع بصدقِها العالَمُ البريةُ كلُّه ، هذه الصفحاتُ التي تتحدثُ عن مكارمِ الأخلاقِ التي تحلّى بها المسلمون الحقيقيون ، الذين تربَّوْا وتتلمذوا في المدرسةِ المحمدية ، والتي تحدّثَ عنها بإعجابٍ منقطعِ النظيرِ كثيرٌ من الفلاسفةِ والمفكّرين والكتّابِ والمستشرقين ، من غيرِ المسلمين !!..

والأمثلةُ على العدلِ والتركيزِ عليه في الإسلامِ كثيرةٌ وعديدةٌ ، لا يكفيها مقالٌ أو كتابٌ ، ولكني سأكتفي بذِكْرِ أمثلة ثلاثة فقط من الأمثلة الدالّة على رسوخِ مبدأ العدلِ في دينِ الإسلامِ وفي نفوسِ الأوائلِ من المسلمين .

المثالُ الأوّلُ : عندما تسابق طفلٌ قبطيٌ مصريٌ مع ابنِ عمرو ابنِ العاصِ ، أميرِ مصرَ في عهدِ الخليفةِ العادلِ عمرَ ابنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه ، وفاز في السبقِ الطفلُ القبطيُّ المصريُّ ، فغاظ ذلك ابنَ عمرو ابنَ العاصِ ، مما جعله يعتدي على الطفلِ القبطيِّ بالضربِ ، وقال له : أتسبقُ ابنَ الأكرمين ؟! .. فأرسل والدُ الطفلِ القبطيِّ يشكو إلى أميرِ المؤمنين عمرَ ما حدث من ابنِ عمرو ابنِ العاصِ ، فأرسل عمرُ إلى عمرو ابنِ العاصِ ليحضرَ فورًا مع ابنه .. وأمر عمرُ بأن يقفَ عمرو ابنُ العاصِ وابنُه أمامَه ، كما يقفُ الطفلُ القبطيُّ وأبوه .. وبعد أن تأكّد الخليفةُ عمرُ من صدقِ شكوى الطفلِ القبطيِّ ، أعطاه سوطًا وقال له : خذ هذا السوطَ واضربْ ابنَ الأكرمين ، فضرب الطفلُ القبطيُّ ابنَ عمرو ابنَ العاصِ كما ضربه .. وقال عمرُ رضي اللهُ عنه لوالدِ الطفلِ القبطيِّ : واللهِ لو طلبتَ أن يُضْرَبَ أبوه لأمرتُ بذلك !!.. وما كان هذا العدلُ من عمرَ ابنِ الخطابِ إلاّ انعكاسًا لأخلاقيات الإسلامِ التي تحلّى بها أميرُ المؤمنين عمرُ ، والتي اكتسبها من مبادئِ الإسلامِ وقِيَمه !!..

المثالُ الثاني : كان أيضًا في عهدِ الخليفةِ عمرَ ابنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه ، عندما تقدّم يهوديٌّ بشكوى إلى أميرِ المؤمنين عمرَ ، ضدَّ الإمامِ عليٍّ ابنِ أبي

طالبٍ ، كرّم اللهُ وجهَه ، فاستدعى عمرُ الإمامَ عليًّا ، وسأله قائلاً : ما ردُّك ياأبا الحسنِ على هذه الشكوى ؟ فبدا الغضبُ على وجهِ عليٍّ .. فقال له عمرُ : هل أنت غاضبٌ ياعليُّ لأنني استدعيتُك للردِّ على هذه الشكوى ؟ فأجاب عليٌّ قائلاً : أنا لستُ غاضبًا لأنك استدعيتَني ، ولكني غاضبٌ لأنك لم تُساوِ بيني وبين الشاكي ، حيث خاطبتَني أنا بكُنْيَتي (ياأبا الحسنِ) بينما خاطبتَه هو باسمِه مجرّدًا ، وفي ذلك تمييزٌ لي عنه ، بينما يجبُ أن نتساوى لأننا في مجلسِ قضاءٍ !!..

المثالُ الثالثُ : يتجلّى في عظمةِ العدلِ الإنسانيِّ الذي تجسّم في موقفِ النبيِّ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، حينما كان يتفقّدُ سَرِيَّةً قبل الخروجِ إلى معركةٍ من المعاركِ ، ووقف أمامَ أفرادِ السّريةِ وقال لهم : من كان له حقٌّ عندي فليقتصّ منّي .. فقال أحدُ أفرادِ السّريةِ : أنا يارسولَ اللهِ .. فسأله النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم عمّا له .. فقال الرجلُ : لقد دفعتَني فى صدري ذاتَ يومٍ .. فطلب منه الرسولُ الكريمُ ، أن يأتِيَ إليه ويقتصَّ منه .. فجاء الرجلُ وقال للنبيِّ الكريمِ : لقد كان صدري عريانًا حين دفعتَني .. فخلع الرسولُ الكريمُ الثوبَ عن صدره ، وطلب من الرجلِ أن يقتصَّ منه .. فما كان من الرجلِ إلاّ أن أقبل على صدرِ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم واحتضنه ، وظلَّ يُقبِّلُ صدرَه الشريفَ ، ثم قال : واللهِ يارسولَ اللهِ ما دفعتَني ، ولكني ادّعيتُ ذلك حتى أقبِّلَ صدرَك الشريفَ !!..

ماذا يقولُ الآن في تفسيرِ هذه الأمثلة الثلاثة ، من لم يقرأْ التاريخَ ومن لم يعلمْ شيئًا عن حقيقةِ الإسلامِ ؟! وهل هناك عدلٌ أعظمُ من ذلك ؟!..

وأقولُ : إذا كنتم تَرَوْنَ مسلمًا ظالمًا أو منحرفًا ، فليس العيبُ في الإسلامِ ولكنّ العيبَ في الفردِ الظالمِ أو المنحرفِ ... لأنه لم يفهم الإسلامَ على حقيقته .. وهل إذا رأينا رجلاً مسيحيًا إرهابيًا ، كذلك الشاب الأمريكيّ المسيحيّ (توماس ماكناي) الذي فجّر مركزَ التجارةِ في مدينةِ أوكلاهوما الأمريكيةَ عامَ ١٩٩٥، والذي راح ضحيتَه عشراتُ الضحايا من المدنيين الأبرياءِ ، الذين لا ذنبَ لهم ، هل يستطيعُ أحدٌ أن يتّهمَ المسيحيةَ البريئةَ بالإرهابِ ؟! طبعًا لا ، لأن المسيحيةَ بريئةٌ كلَّ البراءةِ من الإرهابِ ، وكلُّنا نعلمُ أن المسيحيةَ هي دينُ تسامحٍ ومحبةٍ .. وكذلك الإسلامُ الذي يأمرُنا بالدعوةِ والمجادلةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ، وينهى عن ترويعِ النفسِ ، ويُحرّمُ قتلَ النفسِ التي حرّم اللهُ إلاّ بالحقِّ !!

ويقولُ اللهُ تعالى : [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] ١٢٥ النحل .

ويقولُ أيضًا : [مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا] ٣٢ المائدة .

هذا ما يدعو إليه الاسلامُ وما يطالبُ به أتباعَه المسلمين .. فأيُّ عُنْفٍ أو إرهابٍ يراه المدّعون والمفترون الكاذبون ، حتى يفتروا على اللهِ الكذبَ ؟!..

ولا نستطيعُ أن نقولَ بعد ذلك إلاّ .. وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى .. كما نقولُ : إنّه لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ !!.. وسينصرُ اللهُ دينَه ولو كَرِهَ الحاقدون !!..

عَـــالَمْ واحـــدْ

======

يالّلاّ ياناس ع الحبّ نعاهدْ ولا نتعصّـــبْ ولا نتعانِــدْ
مش باللُّون ولا بالجنســيّه داحنا ياناس من عالَمْ واحدْ

لو بالودّ يكون أســلوبنـــا مش بصراعْنا ولا بحْرُوبْنـــا
لو بالْحُـــبّ بنملا قلوبنـــا مش حايكونْ شرّيرْ ولا جاحدْ
واحنا ياناس من عالَمْ واحدْ
شوفوا الحرب وشوفوا ويلاتْها تِهدم في الأرض وخـــيراتْهـــا
وتدمَّـــرْ أمجـــاد حضـــاراتْها ماتخـــلّي منهـــــا ولا واحـــدْ
واحنا ياناس من عالَمْ واحدْ
كلّ الناس الحـــلوه حبايْـــبي والناس كلّها عايشـــه ف قلبي
لا تقول شرقي ولا تقول غربي دي امّنا واحده وابونا ده واحدْ
واحنا ياناس من عالَمْ واحدْ
ياشـــعوب العـــالم خـــلّينا وِحْـــدَه وإيديكم في إيدينـــا
داحـــنا بنكمّـــل بعضِـــينا وإلاهْنا وإلاهْكم واحـــــدْ
واحنا ياناس من عالَمْ واحدْ

=======

أنا لن أســـتكينَ !!..

(خواطرُ مجاهدٍ فلسطينيٍّ)

لا.. أنا لن أســـتكين .. فبالله عليـــكم ، لا تُقيِّـــدونـــي !!..
لقد نجـــح هـــدفُ انتفاضـــتي .. فلا تُوقفـــونـــي !!..
كم من ســـنينَ طال صـــمْتي .. حتى أنّهم أهملونـــي !!..
فلمـــا أعلنتُ ثورتـــي .. قامـــوا جـــميعًا ليرقبونـــي ..
بالشعاراتِ فقط .. لن تُحَلَّ قضيتي .. ولن تزولَ مصيبتي ..
بل بالكفـــاحِ .. بالســـلاحِ .. وأغصـــانِ الزيتـــونِ !!..
بالسلامِ .. بالحقِّ .. بالعدلِ .. بالحجارةِ .. بالغضبِ المكنونِ ..
هاهي دولتي ، قد أُعْلِنَتْ .. والأحرارُ في كلِّ بلدٍ ، قد أيّدوني ..
فلسطينُ برجالِها .. بشبابِها .. بنسائِها .. بالأجنّةِ في البطونِ !!..

رفعنا العَلَمْ .. شَحَذْنا الهِمَمْ ..وضَعْنا الوطنْ ..نصْبَ العيونِ ..
قَسَمًا بلادي .. فِداكِ فؤادي .. نذرتُ حياتي .. حتى المنونِ !!..
بدربِ النضالِ سنمضي قُدُمًا ..حتى النِهايةِ .. بي أو بدوني !!..
فإمّا الوطنُ السَّـــليبُ يعودُ .. وإمّا الجحـــيمُ لمن شرّدوني !!..

القُدْسُ .. القُدْسُ .. يامسلمون !!

مسكينٌ أنت ياقُدْسُ !..ياأُولَى القبلتيْن ، وثالثَ الحرميْن !!.. لقد كنتَ مقدّسًا منذ أبراهيمَ عليه السلامُ ، ومعظَّمًا أيامَ رسولِنا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ .. ولاقيتَ الأهوالَ منذ القرنِ السابعِ عشرَ وحتى هذا اليومِ الرّهيبِ ، ويعلمُ اللهُ مصيرَك في الغدِ القريبِ !!..

يدّعي اليهودُ أنّهم بناةُ الهرمِ ، وأنّهم أصحابُ القدسِ منذ القِدَمِ ، وأنّهم بناةُ مدينةِ القدسِ ، وهذا ادّعاءٌ كاذبٌ ، لأنّ الكنعانيينَ هم الذين بنوْا مدينةَ القدسِ ، والكنعانيون هم من القبائلِ العربيةِ التي استوطنت أرضَ فلسطين قبل اليهودِ قبل ٥٥٠٠ سنةٍ ، أي ٣٥٠٠ سنةٍ قبل الميلاد ، حتى حدثت الهجرةُ الكبرى من أرضِ الجزيرةِ العربيةِ ، إلى حيث بَنَوْا مدينةَ القدسِ الحاليةَ " أور " وكانت هناك مدينةٌ أخرى بنفسِ الاسمِ جنوبيِّ العراقِ معاصرةٌ لها ، ولما جاء اليهودُ أسْمَوْها " أور السلام " أو " أورشليم " .

ولما جاء ابراهيمُ عليه السلامُ رزقه اللهُ بإسحاقَ الذي أنجب يعقوبَ .. ويُسَمَّى يعقوبُ في التوراةِ " إسرائيلَ " .. ومعنى إسرائيلَ في اللغةِ العربيةِ " عبدُ اللهِ " .. ويعقوبُ هو أبو يوسفَ عليه السلامُ وأبو الأسباطِ ، الذين هبطوا إلى مصرَ عند حدوثِ المجاعةِ في فلسطينَ .. وظلَّ الإسرائيليون بمصرَ

منذ ذلك الوقتِ وحتى زمانِ موسى عليه السلامُ ، ولأنّ الغدرَ في طبعِهم فقد غدروا بالمصريين ، وتعاونوا مع الهكسوسِ الغزاةِ ضدّ المصريين .. ولما اكتشف المصريون خيانتَهم طردوهم من مصرَ إلى صحراءِ النقبِ .. ثم قاموا بهجمةٍ وحشيةٍ على فلسطينَ بقيادة " يوشع " دخلوا بعدها مدينةَ " أريحا " وخرّبوها ودمّروا كلّ شيءٍ فيها ، ويُقالُ في الجزءِ المحرَّفِ من التوراةِ : إنّ "يوشعَ" دعا باللعنة على أيِّ رجلٍ يُعيدُ تعميرَ مدينة " أريحا " قائلاً : (ملعونٌ قُدَّامَ الربِّ الرجلُ الذي يقومُ ويبني هذه المدينةَ أريحا) !!.. " سفر يشوع الإصحاح السادس "

وقبل هجرةِ الرسولِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم كانت القدسُ قبلةَ المسلمين لمدّة ستة عشرَ شهرًا ، ثم دعا النبيُّ الكريمُ ربَّه أن يُحوِّلَ قبلتَه إلى الكعبة المشرّفةِ بمكّةَ المكرّمةِ .. وفي عهدِ أميرِ المؤمنين عمرَ بن الخطابِ ، فتح القدسَ خالدُ بنُ الوليد بعد أن حاصرها أربعةَ شهورٍ .. وظلّت القدسُ تحت حكمِ المسلمين حتى عامِ ١٠٩٩م .. وبعد ذلك غزاها الصليبيون ، وظلّت تحت حكمِهم حتى فتحها القائدُ صلاحُ الدينِ الأيوبيُّ عامَ ١١٨٧م بعد انتصارِه في معركةِ " حطّين " التي وقعت قرب بحيرةِ " طبرية " .. وبعد ٧٥ سنةً استولى عليها الظاهرُ بيبرس ، وأصبحت تابعةً لمصرَ عامَ ١٢٦٢م وتتابع عليها السلطانُ منصورٌ بنُ قلاوون وابنُه الناصرُ ، وبعد ذلك المماليكُ ، وفي عهدهم عمَّ التسامحُ بين المسلمين وغيرِ المسلمين من المسيحيين واليهودِ .. وظلّت كذلك على مدى ٢٥٥ سنةً إلى أن جاء العثمانيون واستولوا عليها

بعد معركةِ " مرج دابق " عامَ ١٥١٧م .. واستمرّ الاحتلالُ العثمانيُّ للقدسِ لمدّةِ ٤٠١ سنة .. وبعد ذلك تسلّل إليها اليهودُ ، ووعدهم الإنجليزُ بمساعدتِهم في إنشاءِ وطنٍ لهم في فلسطينَ بالوعدِ المشئومِ " وعد بلفور " عامَ ١٩١٧م .. وتجمّع اليهودُ في فلسطينَ شيئًا فشيئًا ، وبالتخطيطِ الخبيث والمدروسِ ، حتى استطاعوا بعد ثلاثين سنةً من الحربِ العالميةِ الأولى ، أن يُعلنوا قيامَ دولتِهم الثانيةِ في فلسطينَ عامَ ١٩٤٨م بعد الحربِ التي قامت بينهم وبينِ العربِ ، والتي تخلّلتها الخيانةُ والغدرُ من بعضِ العربِ ، وبمساندة وتأييدِ القوى الاستعماريةِ الغربيةِ الحاقدةِ والموتورةِ .. وبذلك صدر قرارُ تقسيمِ القدسِ إلى جزءٍ عربيٍّ تابعٍ للأردنِ وجزءٍ يهوديٍّ .. وتنفيذًا للمخطّطاطِ الصهيونيةِ ، فقد قام اليهودُ بحرقِ منبرِ المسجدِ الأقصى عامَ ١٩٦٩م ، واستولوا على وثائقِ الأوقافِ وإتلافِ بعضِها عامَ ١٩٩١م .. وقد تضاعف إجرامُهم بعد انتصارِهم في حربِ يونيو عامَ ١٩٦٧م وحتى الآن حيث يحاولون طردَ العربِ من فلسطينَ ، وطمسَ قضيةِ فلسطينَ ، وجَعْلَ القدسِ بكاملِها عاصمةً أبديةً لإسرائيلَ ، وبالمكرِ المعهودِ لليهود استطاعوا على مدى سنين طويلةٍ أن يتغلغلوا في شرايين المجتمعِ الأمريكيِّ حتى سيطروا على مقدّراتِ الشعبِ الأمريكيِّ ، الاقتصاديةِ والسياسيةِ والإعلاميةِ والماليةِ والعسكريةِ ، حتى أصبح لهم نفوذٌ كبيرٌ ، على الإدارةِ الأمريكيةِ وصنّاعِ القرارِ .. ولما خطّط اليهودُ لإسقاطِ الشيوعيةِ التي أنشأوها من قبلُ بتعاليمِ " ماركس " اليهوديِّ ، ونجحوا في تحقيقِ انهيارِ الاتحادِ السوفييتيِّ ، وأصبحت أمريكا الآن هي القطبَ الأوحدَ وصاحبةَ الكلمةِ

الأولى والأخيرةِ في العالمِ ، بدأوا يوجّهون السياسةَ الأمريكيةَ نحو تأييدِ ومساندةِ اليهودِ في كلِّ مطالبِهم في فلسطينَ .. وهاهي أمريكا قد أعلنت القدسَ عاصمةً لإسرائيلَ ونقلَ سفارتِها إليها ، ووعدت بمحاولةِ إقناعِ الدولِ الأخرى بنقلِ سفاراتِها إلى القدسِ كعاصمةٍ لإسرائيلَ ..

كلُّ ذلك وأنتم غافلون ومتفرّقون ياعربُ .. ومتخاذلون يامسلمون .. وصامتون ياجبناءُ !!.. فإلى متى يستمرُّ تفرّقُكم ياعربُ ، وتخاذُلُكم يامسلمون ، وصمتُكم ياجبناءُ ؟!.. أإلى أن يُهْدَمَ المسجدُ الأقصى ، الذي يحفرون حوله وتحته يومًا بعد يومٍ ؟!.. أإلى أن يقيمَ اليهودُ الهيكلَ ، وتصبحَ فلسطينُ كلُّها تحت سيطرتِهم ؟!..

ألا تعلمون أنه إذا تمَّ لهم ذلك ، فسيبدأُ اليهودُ في تنفيذِ هدفِهم النهائيِّ بفرضِ سيطرتِهم عليكم جميعًا ، وتكميمِ أفواهِكم ، وسحقِ إرادتِكم ؟!.. وحينئذٍ لن تجدوا ماءً للحياءِ تمسحون به وجوهَكم الكئيبةَ ، ولن تجدوا على ظهورِكم إلاّ السياطَ الرهيبةَ !!..

فهل هناك بصيصٌ من أملٍ أن تفيقوا ، قبل أن يضيعَ قدسُكم ، وقبل أن يُسطَّرَ بالخزيِ والعارِ تاريخُكم ، وقبل أن تُنكّسَ رءوسُكم قبل أعلامِكم ؟!.. ولعلّكم تسمعون الصيحةَ المدوّيةَ التي تقولُ :

القدسُ ، القدسُ .. يامسلمون !!..

ثَمَـــنُ شَـــرْبَةِ ماءٍ !!..

استدعى أحدُ الخلفاءِ رجلاً من الصالحين كان يُحبُّه ، وكان يستمعُ إلى نُصحه ووعظه ويرتاحُ إليه .. وذاتَ مرّةٍ قال له الخليفةُ :اطلبْ شيئًا نُعطكَ مما أعطانا اللهُ ..

فقال له الرجلُ الصالحُ : ياأميرَ المؤمنين ! اسمح لي أن أسألَك سؤالاً قبل أن أطلبَ شيئًا..

فقال الخليفةُ : سَلْ ماشئتَ .

قال الرجلُ الصالحُ : تخيّلْ ياأميرَ المؤمنين أنك كنتَ في صحراءَ قاحلة لا نباتَ فيها ولا ماءَ ، وكانت حرارةُ الشمسِ محرقةً ، واشتدّ بك العطشُ ، وبلغ مبلغًا لا يُطاقُ .. ثم وجدتَ مَنْ يَعْرِضُ عليك شَرْبَةَ ماءٍ في قعرِ كوبٍ ، ماذا كنتَ تدفعُ ثمنًا لشربةِ الماءِ هذه ؟ (فسرح الخليفةُ وتخيّل ذلك الموقفَ الصعبَ ، الذي يقتربُ من الموتِ ، ثم قال) : أدفعُ نصفَ مُلْكي ثمنًا لشربةِ الماءِ !

قال الرجلُ الصالحُ : وإذا لم تستطعْ إخراجَ شربةِ الماءِ هذه ، فكم تدفعُ ثمنًا لإخراجِها ؟ (فسرح الخليفةُ وتخيّلَ المعاناةَ القاسيةَ عند احتباسِ البولِ ، وما يمكنُ أن يترتبَ عليه من تسمّمِ الجسمِ الذي يؤدّي إلى الوفاةِ ، ثم اندفع بحماسٍ وقال) : أدفعُ مُلْكي كلَّه ثمنًا لإخراجِها !!

فقال الرجلُ الصالحُ : ياأميرَ المؤمنين ! إذا كان مُلْكُك كلُّه لا يساوي ثمنَ شربةِ ماءٍ ، فكيف تطلبُ مني أن أرغبَ منه في عطاءٍ ؟؟!!..

الأسوةُ الحسنةُ

يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى : [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] ٠ ٢٤ محمد ٠ وفي هذه الآيةِ الكريمةِ يدعونا اللهُ تعالى لكي نتدبّرَ ونتفهّمَ آياتِ القرآنِ الكريمِ ، وما وراءَ الكلماتِ من معانٍ ساميةٍ وأغراضٍ طيّبةٍ تَهدينا إلى سواءِ السبيلِ وإلى الصّراطِ المستقيمِ ، حتى نسعدَ في حياتنا الدنيا ، ونفوزَ في حياتنا الآخرة ..

ويقولُ اللهُ تعالى : [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا] ٠ ٢١ الأحزاب ٠ ولو تدبّرنا هذه الآيةَ الكريمةَ وما وراءها من معانٍ وأهدافٍ وتوجيهٍ إلهيٍّ كريمٍ ، لأدركنا أن اللهَ تعالى يدعونا إلى التحلّي بالأخلاقِ الكريمةِ التي تحلّى بها رسولُنا محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلم ، ويحثُّنا على الاقتداءِ بأقوالِه وأفعالِه .

ولقد فاز الذين اقتدَوْا بنبيِّهم واتخذوه قدوتَهم الحسنةَ ، وما سيَرُ الصحابةِ الأجلاّءِ والتابعين المهتدين ببعيدةٍ عن التاريخِ .. أولئك الذين تفوّقوا في المدرسةِ المحمديةِ ، فهداهم اللهُ إلى الصراطِ المستقيمِ ، فحكموا وسادوا بأخلاقِهم قبل سلاحِهم .. وسطّروا بعظمتِهم الإنسانيةِ أروعَ صفحاتِ التاريخِ !!.. ولقد اهتدى بهديِهم من وفقهم اللهُ في الأجيالِ المتتابعةِ فنالوْا مثلَ مانال الأوّلون المهتدون !!..

ولقد علّمَنَا التاريخُ أن كلّ جيلٍ من الأجيالِ ، يظهرُ فيه أناسٌ طيّبون أحسنوا اتخاذَ قدوتِهم وساروا على الدّربِ الصحيحِ ، ففازوا برضوانِ الله فأحبّهم وزرع لهم المحبةَ في قلوبِ الناسِ ، وجعل سيَرَهم العطرةَ تتردّدُ على ألسنةِ الناسِ ، بالمحبةِ والتقديرِ والثناءِ !!

وفي جيلنا هذا رأينا نماذجَ مشرّفةً من هذه النماذجِ الطيّبةِ ، من الذين اقتدَوْا برسولِهم الكريمِ وصحابته الأجلاّءِ والتابعين لهم بإحسانٍ ، فحفروا لأنفسِهم الحبَّ في قلوبِ الملايينِ من البشرِ ، فأصبحوا هم أيضًا من القدواتِ الطيّبةِ لمن يتعلمون منهم !!..

من هذه النماذجِ الطيّبةِ في هذا الجيلِ عددٌ لا بأسَ به من الطيّبين ، لا يتّسعُ هذا المقالُ لذكرِهم جميعًا !!.. ولكني سأكتفي بذكرِ نموذجين منهم على سبيلِ المثالِ ، لنرى كيف ساروا على الطريقِ الصحيحِ ، فارتفعوا بتواضعِهم ، وسعدوا بحبِّ اللهِ وحبِّ الناسِ ، وسطّروا لأنفسِهم تاريخًا بحروفٍ من نورٍ !!..

النموذجُ الأوّلُ : فضيلةُ الإمامِ الشيخُ محمد متولي الشعراوي ، رحمه اللهُ ورضيَ عنه ، الذي أحبّه الناسُ وأقبلوا على الاستماعِ إلى خواطرِه في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ ، بأسلوبٍ فريدٍ لم يسبقْه إليه أحدٌ من قبلُ .. ولما شاهد الناسُ مسلسلَ " إمامُ الدّعاةِ " الذي أحسنَ التليفزيونُ المصريُّ (على غير عادته)

بتقديمه في شهرِ رمضانَ ، استطاع الناسُ أن يعرفوا بعضَ جوانبِ حياةِ الإمامِ الشعراوي ، التي ملأت القلوبَ بالإعجابِ والطمأنينةِ ، وأراحت الصدورَ بالانشراحِ والسكينةِ ، عندما تعلّم الناسُ منه أن السعادةَ الحقيقيةَ لا تكونُ في كثرةِ المالِ ولا في عُلُوِّ المنصبِ والمقامِ ، وإنما السعادةُ كلُّ السعادةِ في معيّةِ اللهِ سبحانه وتعالى والاقتداءِ برسولِه عليه الصلاةُ والسلامُ !!..

<u>النموذجُ الثاني :</u> الدكتور مصطفى كمال حلمي ، رئيسُ مجلسِ الشّورى ورئيسُ المجلسِ الأعلى للصحافةِ ونقيبُ المعلمين .. هذا الرجلُ العملاقُ الذي يُعْتَبَرُ عملةً نادرةً في هذا الزمانِ .. فهذا الرجلُ لم تغرَّه المناصبُ الرفيعةُ التي يشغلُها ، ولم تزدْه إلاّ مزيدًا من التواضعِ فرفع اللهُ قدرَه ، وملأ قلوبَ الناسِ بحبِّه .. هذا الرجلُ الذي ينتقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ دون حرّاسٍ يحرسون ، ودون منافقين يهتفون .. ولقد أسعدني اللهُ بأن أكونَ واحدًا من تلاميذِه في العملِ النقابيِّ ، ورأيتُ منه الكثيرَ مما علّمني كيف يرفعُ التواضعُ صاحبَه ، وكيف تمحو البشاشةُ الغضبَ من الوجوهِ ، وكيف يزيلُ الإحسانُ الحقدَ والغلَّ من القلوبِ ، وأنّ من يزرعُ الحبَّ لا يجني سواه .. ولقد تجلّى هذا المعنى حينما سافر الدكتور مصطفى كمال حلمي إلى الخارجِ للعلاجِ في شهرِ رمضانَ ، فكانت قلوبُ الناسِ تدعو له بتمامِ الشفاءِ والعودةِ بسلامِ اللهِ إلى أرضِ الوطنِ .. ولما شفاه اللهُ وعاد إلينا امتلأت الصحفُ بالتهاني الصادقةِ والمعبِّرةِ عما في القلوبِ .. إنني أتذكّرُ دائمًا هذا الرجلَ الفاضلَ عندما يدخلُ علينا قاعةَ مجلسِ النقابةِ العامةِ للمعلمين ، تكسو وجهَه ابتسامتُه المشرقةُ ،

ويذهبُ بنفسه ليصافحَ الأعضاءَ بيدِه ، ويتبادلُ معهم عباراتِ الودِّ والمحبةِ .. وأجدُ نفسي ساعتَها أنظرُ إليه وقلبي يهتزُّ وصدري ينشرحُ ، ولسانُ حالي يقولُ له في نفسي : كم أنت عظيمٌ أيّها الرجلُ !!..

هذان النموذجان من الرجالِ ومن كان على شاكلتِهما ، عرفوا الحياةَ على حقيقتِها وأنَها زائلةٌ ، فحذروا منها ولم يطمعوا فيها ، وعرفوا حقيقةَ الآخرةِ وأنَها باقيةٌ ، فعملوا لها وكان أملُهم فيها .. وأدركوا أن السعادةَ لا يشتريها المالُ مهما كثُرَ ، ولا يفرضُها السلطانُ مهما عظُمَ !! وإنما السعادةُ الحقيقيةُ تكونُ في معيّةِ اللهِ ودوامِ ذِكْرِه ، والاقتداءِ برسولِ اللهِ وحسنِ خُلُقه .. صلى اللهُ عليك ياسيّدي يارسولَ اللهِ .. يارحمةَ اللهِ الْمُهداة .. وفقنا اللهُ بفضله إلى رضاه ، وإلى الاقتداءِ برسولِه الذي اصطفاه ، والسيرِ على نَهجِه وهداه !!..

فِي حُـــبِّ اللَّــهِ !!..

كان في بيتِ " عبدِالله بنِ الحسينِ بنِ عليّ " رضي اللهُ تعالى عنهم ، جاريةٌ من بلادِ العجمِ ، وفي ليلةٍ من الليالي ، استيقظتْ من نومِها ، وتوضّأتْ ثم قامت والناسُ نيامٌ ، لتصلّيَ لربِّ الأنامِ ، ولما انتهتْ من صلاتِها أحبّتْ أن تناجيَ ربَّها ، فسجدتْ وراحت تقولُ في سجودِها وهي تبكي : سيّدي .. بحبِّك لي ، إلاّ غفرْتَ لي .. وتصادف أن كان عبدُ اللهِ قد استيقظ هو الآخرُ ليصلّيَ ، فرآها وسمع مناجاتَها للهِ .. فقال لها : لا تقولي هكذا ، ولكن قولي : بحبِّي لك ؛ فربما سبحانه ، لا يحبُّك .. فقالت الجاريةُ : لولا حبُّه لي لما أنامك وأوقفني بين يديه ، وبحبِّه لي أخرجني من دارِ المشركين وكتبني في دارِ المؤمنين . فتأثر عبدُ اللهِ من قولِها وقال لها : اذهبي فأنتِ حرَّةٌ لوجه اللهِ تعالى ، فقالت الجاريةُ : يا مولاي ، لقد أسأتَ إليَّ .. فقد كان لي أجران ، فصار لي أجرٌ واحدٌ ، ثم صرخَتْ صرْخةً وقالت : هذا عِتْقُ مولايَ الأصغرِ ، فكيف عِتْقُ مولايَ الأكبرِ ؟!.. ثم خرَّتْ إلى الأرضِ ، وفاضت روحُها وصعدتْ إلى خالقِها ، راضيةً مرضيَّةً !!..

الْحَلِفُ بالطّلاَقِ ..لعْبَةُ المتَخَلِّفِينَ !!

لا أتصوّرُ إنسانًا واعيًا متحضّرًا متديّنًا يستخدمُ الحلفَ بالطّلاقِ كوسيلة للحَلِفِ ، بمناسبةٍ وغيرِ مناسبةٍ .. سواءً كان ذلك أثناءَ البيعِ والشراءِ ، أو كان لإقناعِ السامعِ بصدقِ الحالفِ ، أو كان لتهديدِ الزوجةِ أو تخويفِها ، أو لمنعِها من تصرّفٍ معيَّنٍ من تصرّفاتِها !!..

فإذا كانت هذه العادةُ السيّئةُ منتشرةً في الماضي ، أو متوارَثَةً عن جهلٍ أو تقليدٍ أعمىً ، فلابد أن نتذكّرَ أننا قد تجاوزنا القرنَ العشرينَ ، وأصبحنا في الألفيّة الثالثة ، أي في القرنِ الحادي والعشرين .. وإذا كان التطوّرُ قد شمل صورًا عديدةً من صورِ وأساليبِ الحياة ، فلابد أن يشملَ التطوّرُ أيضًا أسلوبَنا في الحديث .. ولابد أن نتعاملَ فيما بيننا بالصّدق .. فإذا اعتاد الناسُ على الالتزامِ بالصّدقِ في الحديثِ ، فإننا لن نحتاجَ إلى الحَلِفِ ، لا بالطّلاقِ ولا بغيره !!..

واللهُ تعالى ينهانا عن أن نحلفَ باللهِ في كلّ هيّنٍ من الأمورِ ، وذلك في قوله تعالى : [وَلاَ تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ] أي لا نجعل لفظَ الجلالةِ يتردّدُ على ألسنتنا في الحَلِفِ إلاّ عند الأمورِ التي تقتضي ذلك ، وفي أضيقِ نطاقٍ ، فلفظُ الجلالة أعظمُ وأجلُّ من أن نجعلَه في كلّ هيّنٍ من الأحاديث . والمرأةُ من ضمنِ عبادِ اللهِ المكرّمين ، وليست لُعْبَةً في أيدي التافهين ، فلا تؤذوها ولا تُهينوها بالحلفِ بالطلاقِ في كلّ يمينٍ !!

التســـوُّلُ المقنَّـــعُ

لقد تطوّر كلُّ شيءٍ في هذا العصرِ بما يُحيِّرُ العقولَ ويثيرُ الذهولَ ، ولم يبقَ شيءٌ ولا مجالٌ إلاّ ولحقه التطوّرُ ، حتى التسوّلَ !!.. فإنّ وسيلتَه لم تعد تقليديةً كما كانت في الماضي إلاّ مع فئةٍ قليلةٍ ، قد تكونُ جديدةً في هذا المجالِ ، ولم تعرفْ بعدُ ما أصاب التسوّلَ من تطوّرٍ .

وفي السنواتِ الأخيرةِ ابتُكِرَتْ طرقٌ وأساليبُ جديدةٌ ما هي في الحقيقةِ إلاّ " تسوّلٌ مُقَنَّعٌ " .. ومن هذه الأساليبِ ، الصورُ الآتيةُ على سبيلِ المثالِ وليس على سبيلِ الحصرِ :

فمثلاً " منادي السيارات " الذي كان عملُه في الماضي إيقافَ التاكسياتِ للركّابِ ، فقد تطوّر عملُ هذا " المنادي " وأصبح قاصرًا على الوقوفِ بجانبِ الرصيفِ ، يمسكُ السيجارةَ الأجنبيةَ بيدٍ ويشربُ الشايَ باليدِ الأخرى ، حتى تأتيَ سيارةٌ لتقفَ فيقابلَها المنادي ويُشيرَ لقائدها ، مردِّدًا بعضَ العباراتِ المحفوظةِ ، التي يُكرِّرُها مع كلِّ سائقِ سيارةٍ مثلَ : تعالَ .. تعالَ .. إعدِلْ .. أيوة ، عجلة ورا .. حضَّنْ كمان شويّة .. تمام كدة .. لو سمحت مَوِّر العربية .. سيادتك حاتتأخّر ؟ وبعد أن يعودَ صاحبُ السيارة يُكرِّرُ " المنادي " نفسَ العباراتِ تقريبًا ، ثم يمدُّ يدَه فيُناولُه السائقُ المغلوبُ

على أمره "المعلومَ ".. ويظلُّ " المنادي " على هذه الحالِ ، يبتزُّ أصحابَ السياراتِ دون أدنى عملٍ ، إلاّ تلك العباراتِ التي اعتاد عليها .. وفي الحقيقةِ ليس هذا العملُ إلاّ صورةً من صورِ التسوّلِ المقنَّع .. ولقد انتشرت هذه الظاهرةُ السيّئةُ في شوارعِ القاهرةِ وامتدّت إلى بعضِ مدنِ الأقاليمِ ، دون أن تتصدّى لها شرطةُ المرافقِ التي تنشطُ في هذه الأيامِ في مطاردة الشبابِ الذين يبيعون بعضَ السّلعِ على الأرصفةِ ، ليأكلوا لقمةً حلالاً ، بدلاً من الانتظارِ الطويلِ والمملِّ لتعييناتِ "وزارةِ القوى العاملةِ " بينما تُغمِضُ شرطةُ المرافقِ عينيها عن مطاردةِ " منادي السياراتِ " أو المتسوِّلِ الحديثِ !!

كما أخذتْ صورُ التسوُّلِ المقنَّعِ وسائلَ أخرى .. فتجدُ عددًا من السيِّداتِ وعددًا من الأطفالِ يحملون أكياسَ المناديلِ الورقيةِ ، ويُطاردون ركّابَ السياراتِ في كلِّ إشارةِ مرورٍ ، وعلى مرأىً من رجالِ الشرطةِ والمرورِ !!

وعند إشاراتِ المرورِ أيضًا نجدُ من يتحاملُ على عكّازٍ أو عكّازين ، ومن يربطُ ذراعَه بالشاشِ ويُعلّقُه في رقبته ، ومن يعرجُ ، واللهُ وحده الذي يعلمُ حقيقتَه ، ونجدُ من يجلسُ على كرسيٍّ متحرّكٍ ، وقد يكونُ متصنِّعًا للمرضِ أو العجزِ (واللهُ أعلمُ به) .. وهم يسألون الناسَ إلحافًا !!..

وفي شهرِ رمضانَ المباركِ نرى ظاهرةً أخرى ، أصبحت من معالمِ الشهرِ الكريمِ ، وهي ظاهرةُ انتشارِ بعضِ الرجالِ والشبابِ الصغارِ الذين يحملون

تلك الآلةَ العتيقةَ التي كنا نراها في الماضي البعيدِ ، وهي آلةُ (سَنِّ السكاكينِ والمقصّاتِ) والتي عفا عليها الزّمنُ .. والغريبُ أن هذه الآلاتِ لا تظهرُ بهذا الانتشارِ إلاّ في شهرِ رمضانَ كعنوانٍ قد يكونُ كاذبًا ، على فقرِ من يحملونَها !!

ومن صورِ التسوّلِ المقنّعِ أيضًا عمّالُ النظافةِ الذين يتظاهرون بالكنسِ وينظرون إلى قائدي السياراتِ ويقتربون منهم ، وتنطقُ عيونُهم بما لا تنطقُ به ألسنتُهم !! وهم في الحقيقة متسوّلون ولكن .. بالملابسِ الرسمية !!

وصورةٌ أخرى من صورِ " التسوّلِ المقنّعِ " ، وهي أن ترى سيّدةً أو رجلاً ، وفي ملابسَ لا بأسَ بها ، ثم يقتربُ منك ويقولُ (مثلاً) وفي أدبٍ وأسلوبٍ مهذّبٍ : لو سمحت ياسيّد ، أنا من طنطا ، ومديرُ (أو رئيسُ كذا) في إدارةٍ (أو مصلحةِ كذا) ، وكنت في زيارةٍ لأحدِ المرضى في القاهرةِ ، وفوجئتُ بأن محفظتي سُرِقَتْ مني ، وأريدُ أن أسافرَ ، وإن تكرّمتَ سيادتك وساعدتَني أكونُ شاكرًا فضلَ سعادتك ، وياريت سعادتك تعرّفني باسم حضرتك والطريقة اللي ممكن أتّصل بيها بسعادتك ، عشان أردّ لسعادتك الجميل ، بالطريقةِ المناسبةِ !!.. وطبعًا قد يُحْرَجُ الإنسانُ منّا أمامَ هذا الشخصِ ، ويُخْدَعُ بمظهرِه وملبسِه فيُصدِّقُه ، ويُضطرُّ أن يُعطيَه ما يريدُ !!..

ولقد تعرّضتُ أنا شخصيًا لمثلِ هذا الموقفِ ، إذ استوقفني رجلٌ في ملابسَ أنيقةٍ ويرتدي نظارةً فخمةً ، وظلّ يحكي أكذوبةَ السرقةِ لمحفظته ، وطلبَ أن أساعدَه للسفرِ إلى الإسكندريةِ .. ونظرًا لأني لا أحبُّ ظاهرةَ التسوّلِ في

الطرقات ولا أشجّعُ عليها ، وفي نفسِ الوقتِ لا أحبُّ أن أمتنعَ عن مساعدة من يحتاجُ المساعدةَ ، وأعلمُ أنّ من فرّجَ عن إنسانٍ كُرْبَةٍ من كُرَبِ الدنيا فرّج اللهُ عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ ، وأطمعُ أن أنالَ الأجرَ على تفريجِ الكروبِ ، فسألتُه عن وسيلةِ السفرِ التي سيسافرُ بها ، فقال إنَّها القطارُ السريعُ ، فطلبتُ منه أن يركبَ معي السيارةَ ، وذهبتُ به إلى محطةِ القطارِ في ميدانِ رمسيسٍ ، وعرّفني بأنّ محطةَ نزوله (سيدي جابر) فاشتريتُ له تذكرةً بالدرجةِ الثانيةِ المكيّفة ، وبعضَ الساندويتشاتِ وجريدةَ المساءِ .. وطلبَ مني أن أعطيَه التذكرةَ ، وأنه لا داعيَ لأن أعطّلَ نفسي أكثرَ من ذلك ، وقال إنه سينتظرُ حتى يصلَ القطارُ ، وذكر أنه لن ينسى لي هذا الجميلَ ، ولكني أفهمتُه بأن لديّ من الوقتِ ما يسمحُ لي بالانتظارِ معه .. وفعلاً ظللتُ معه نتسامرُ حتى وصل القطارُ ، وحاول أن أعطيَه التذكرةَ وأنصرفَ ، ولكني قلتُ إنه لا بأسَ من الانتظارِ معه حتى يتحرّكَ القطارُ ، ولاحظتُ على وجهِه قلقًا يحاولُ إخفاءَه .. وركبنا القطارَ وجلسنا نتحدثُ حتى لم يبقَ على موعدِ تحرّكِ القطارِ أكثرُ من دقيقتين فقط ، فاستأذن الرجلُ لكي يذهبَ إلى دورةِ المياهِ ، وانتظرتُه وكنتُ أنظرُ من النافذةِ أراقبُ المسافرين الذين يُسرعون للّحاقِ بالقطارِ ، وإذا بي أرى الرجلَ وقد خرج من عربةِ القطارِ ويجري على الرصيفِ خارجًا من المحطةِ .. فنزلتُ بسرعةٍ قبل أن يتحرَكَ القطارُ .. وسمعتُ أحدَ المسافرين يقولُ لصاحبه : لقد تأخّرتُ ولم أستطعْ شراءَ التذكرةِ ، فقال صاحبُه : مش مهم ، ممكن تقطع في العربية .. فقلتُ لهما : تقدروا تاخدوا التذكرة دي ، لأني غيّرتُ رأيي ولن أسافرَ بها ،

فأخذها الرجلُ وأخرج محفظتَه ليدفعَ ثمَنَها ، فقلتُ له : معلش ، خلّيها تحية مني .. فوقف الرجلُ مشدوهًا بينما انصرفتُ وأنا أبتسمُ وأقولُ في نفسي : الحمدُ لله على أيِّ حالٍ ، فقد نلتُ الأجرَ ، بينما لم أُخْدَعْ .. وتعلّمتُ درسًا جديدًا ، وهو ألاّ تخدعَني المظاهرُ !!..

وتذكّرتُ مقولةَ " المنفلوطيِّ " التي قال فيها : (لو تراحم الناسُ ما كان بينهم جائعٌ ولا عُريانٌ ، ولا مظلومٌ ولا مهضومٌ ، ولأقفرت العيونُ من المدامعِ ، ولاطمأنت القلوبُ في المضاجعِ) .. كما تذكّرتُ قولَ الله تعالى :
[وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ] ١٩ الذاريات .
وتذكّرتُ الآياتِ الكريمةَ والأحاديثَ الشريفةَ عن الزكاة والصدقاتِ ومصارفِ إنفاقِها .. وقلتُ في نفسي : صدق اللهُ ورسولُه .. وقلتُ أيضًا : رضي اللهُ عنك يا عمرَ ابنَ عبدِ العزيزِ .. لقد عرفتَ كيف تُوزِّعُ أموالُ بيتِ المالِ ، فلم يكنْ في عهدك جائعٌ ولا عُريانٌ ، ولا مدينٌ ولا حزينٌ ، ولا تحايلٌ ولا تسوّلٌ ولا اعوجاجٌ ، ولا غيرُ قادرٍ على إتمامِ دينِه بالزواجِ .. وتمنيتُ أن يقرأَ الناسُ سيرةَ عمرَ ابنِ عبد العزيزِ ، وغيرِه من الخلفاءِ الصالحين ، ليعلموا كيف وأين يكونُ الخيرُ والصوابُ .. ولو عَمِلنا بما عَلِمنا ، لما كان هناك فقراءُ يتكففون الناسَ ، ولا من يحتالون بالنصبِ على الناسِ ، ولا تعدّدتْ صورُ " التسوّلِ المقنَّعِ " في الطرقاتِ !!..

نَـصَـــا ئِــح !!..

****

اتَّقِ اللهَ تَكُــنْ أعَــلَمَ النَّــاس .

كُنْ قَانعــًا تَكُــنْ أَغْــنَى النَّــاس .

أَحبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنَفْسكَ تَكُنْ أَعْدَلَ الناس .

أَكْثِــرْ ذكْرَ الله تَكُّــنْ أَخَــصَّ النــاس إلَى الله .

حَسِّــنْ خُــلُقَكَ يَكْتَمِــلْ إيمَانُــكَ .

اعْبد اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يرَاكَ ، تَكُنْ مِنَ الْمُحْسنِينَ .

أَدِّ فَرَائِــضَ الله تَكُــنْ مِنَ الْمُطِيعيــنَ .

اصْفَحْ وَسَامِحْ وَاغْفِرْ ، وَبِرِضَاء الله وَحُبِّ النَّاسِ سَوْفَ تَظْفَرْ .

لا تَظْلِمْ أَحَــدًا تُحْشَــرْ يوْمَ الْقِيَــامَةِ في النُّــورِ .

ارْحَمْ نَفْسَكَ وَارْحَمْ عِبَادَ الله يَرْحَمْكَ رَبُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

أَكْثِــرْ مِنَ الاسْــتِغْفَارِ تُغْــفَرْ ذُنُــوبُكَ .

لا تَشْــكُ أَمْرَكَ إِلَى الْخَــلْقِ ، تَكُــنْ أَكْرَمَ الناسِ .

تَوَكَّلْ عَلَى الله ، تَكُــنْ أَقْوَى النَّــاسِ .

أَحِبَّ مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُــولُهُ ، تَكُــنْ مِنْ أَحْبَابِهِمَا .

لا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، تَكُنْ آمِنًا مِنْ سَخَطِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَة .

اجْتَنِبْ أَكْلَ الْحَرَامِ ، تُسْتَجَبْ دَعْوَتُكَ .

اسْتُرْ عُيُوبَ النَّاسِ يسْترِ اللهُ عيوبَك ويَسْتُرْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كُنْ دَائِمًا عَلَى الطَّهَارَةِ ، يُوَسِّعِ اللهُ عَلَيْكَ فِي الرِّزْقِ .

امْلأْ قَلْبَكَ بذِكْرِ اللهِ ، تَكُنْ مُطْمَئِنًا .

اعْفُ عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ فِي الدُّنْيَا , يَعْفُ اللهُ عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

إِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ لِعَدَمِ الْمَغْفِرَةِ ، فَتَذَكَّرْ عَجْزَكَ وَأَنْتَ فِي الْمَقْبَرَةِ .

لاَ تَفْرَحْ بِمَنْصِبٍ زادتْه الشمائلُ ، وَاعْلَمْ بِأَنَّهُ لأَبُدَّ يَوْمًا زَائِلُ .

لا تَغْضَبْ مِنْ إِسَاءَةِ صَدِيقٍ ، واغْفِرْ لَهُ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مِنَ جَهَنَّمَ عَتِيقٌ .

لاَ تَحْسد النَّاسَ لِلأَمْوَالِ والْقُصُورِ ، فَلَنْ يَحْمِلُوهَا مَعَهُمْ فِي الْقُبُورِ .

لاَ تَبْخَلْ عَلَى مُحْتَاجٍ بِمَالٍ ، فَسَتَتْرُكُ الْمَالَ وَتَبْقَى لَكَ الأَعْمَالُ .

افْرَحْ بِمَنْ يَأْخُذُ مِنْكَ أَكْثَرَ مِمَّنْ يُعْطِيكَ ، تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ .

إِذَا أَعْجَبَكَ طَعَامُكَ وَقْتَ الْتِهَامِه ، فَتَذَكَّرْ شَكْلَهُ وَقْتَ إِخْرَاجِه .

انْتَظِرِ الْمَوْتَ تُوهَبْ لَكَ الْحَيَاةُ ، وَاسْتَعِدَّ لَهُ تُكْتَبْ لَكَ النَّجَاةُ .

اشْكُرِ اللهَ عَلَى عَطَائِهِ وَنِعَمِهِ ، فَبِالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعَمُ !!..

يَا دُ نْـيَــــا !!..

****

اللِّـي يـفَـكَّـــرْ فِــيـكِ د قِـيــقَــة

يــخْــسَــرْ فِـيكِ سَــاعَــه يَـا دُ نْـيَــا

لَـوْ يِـحْـسِـبْـهَـا صَـحِـيـحْ وبْـعَـقْـلُـه

يِـعْـــرَفْ إنِّـكْ زَايْـلَـه وفَـانْـيَـــه

تِـدِّي الـنَّــاسْ فِـي آمَــالْ كَـدَّابَـــه

مَـا تْــعَــمَّــرْشِ لَـمُـدَّةْ ثَـانْـيَــــه

واللِّي حَـيِعْـرَفْ يُـومْ حَـيْقُـولِّـكْ

دَانْـتِ صَـحِـيـحْ مَـلْـعُـونَـه يَا دُنْيَـا!!

نَحْـــنُ نَعْرِفُ الْعَـــيْبَ .. وَنَفْعَـــلُه !!..

أثناء زيارانيّ لبعضِ الولاياتِ الأمريكيةِ ، رأيتُ ما أذهلني وأثار إعجابي .. كما شاهدتُ ما أخجلني وأثار استيائي !!..

رأيتُ العماراتِ الشاهقةَ التي يُسمّونَها ناطحاتِ السحابِ ، وخاصّةً ذلك المبنى الذي كان يُسَمَّى " مركزَ التجارةِ العالميِّ " في نيويورك ، والذي دُمِّرَ في الحادي عشرَ من سبتمبرِ المشئومِ ، والذي كان يتكوّنُ من مائةٍ وخمسةَ عشرَ طابقًا .. وكان يُعْتَبَرُ تحفةً هندسيةً رائعةً .. وما أذهلني وأثار انتباهي في ذلك المبنى ، أن المياهَ كانت تتدفقُ في الدورِ الأخيرِ ، كما لو كانت في الدورِ الأوّلِ من المبنى !!.. وحينئذ تذكّرتُ العمارةَ التي أقيمُ فيها في حيِّ المهندسين ، وهو يُعْتَبَرُ من الأحياءِ الراقيةِ ، ورغم أني أسكنُ في الدورِ السادسِ والأخيرِ من العمارةِ ، إلاّ أن المياهَ لا تصعدُ إلينا إلاّ بعد منتصفِ الليلِ .. مما يضطرُّنا إلى السهرِ يوميًا انتظارًا لوصول المياه حتى نختزنَ منها ما يسدُّ احتياجاتنا من مياهِ الطّهوِ والشربِ ، ولو لم نَقُمْ بتركيبِ خزّانٍ للمياه على سطحِ العمارةِ لما أمكننا أن نجدَ ماءً طوالَ النهارِ للاستعمالِ اليوميِّ !!..
وهنا أتساءلُ : ألا يوجدُ في بلادنا مهندسون وفنيّون في مجالِ مرافقِ المياه ، ممن يستطيعون إيجادَ حلٍّ لهذه المشكلةِ المضايقةِ للإنسانِ ، والمسمّمة للأبدانِ ، أم أنّ هناك هدفًا لبعضِ المسئولين ، لتوفيرِ الغمِّ والنكدِ للمواطنين ؟!.. كما

أتساءلُ ، لماذا توجدُ هذه المشكلةُ في بيوتِ ومساكنِ الصغارِ ، بينما لا توجدُ هذه الأزمةُ في فللِ ومساكنِ الكبارِ ؟!.. أبعد ذلك نحاربُ التفرقةَ العنصريةَ ونحن نطبِّقُها قولاً وعملاً ؟!..

رأيتُ في أمريكا أنّ جميعَ الأوتوبيساتِ وعرباتِ القطارِ والمترو نظيفةٌ ومكيّفةٌ ، وكرامةُ الركّابِ محترمةٌ ومُصانةٌ .. بينما في بلادنا فالأوتوبيساتُ ليست نظيفةً ولا مكيّفةً ، بل إنّها قذرةٌ و(مُقْرِفَة) إلاّ تلك الأوتوبيساتِ التي يركبُها أشباهُ أولادِ الذواتِ .. ومع ذلك ندَّعي تطبيقَ المساواةِ بين جميعِ المواطنين !!

ونحتجُّ على ممارساتِ رجالِ الشرطةِ في دولٍ مجاورةٍ لنا ، ونتغاضَى عن تجاوزاتِ رجالِ الشرطةِ في بلادنا !!.. ونسخرُ من صورِ الفسادِ في المجتمعاتِ الأخرى ، وفي بلادِنا نُغمِضُ أعيننا عن أكبرِ مظاهرِ الفسادِ !!..

ونتَّهمُ المجتمعاتِ الغربيةَ بالتفكّكِ والانحلالِ وسوءِ الأخلاقِ ، وكأننا لانعرفُ شيئًا عن كباريهاتِ شارعِ الهرمِ ، وما يحدثُ على أسوارِ الكباري والكورنيشِ وفي طريقِ الجبلايةِ وحديقةِ الأسماكِ !!..

ونتهجّمُ على الممارساتِ الخليعةِ والماجنةِ في الخارجِ وسوءِ العلاقاتِ ، ونتناسى ما انتشر عندنا في المدارسِ والمعاهدِ والكليّاتِ ، وما يحدثُ بين البنينَ والبناتِ !!..

لقد رأيتُ بنفسي في أمريكا من العلاقاتِ بين الرجالِ والسيداتِ مالا يتّفقُ مع القيمِ الشرقيةِ أو الدّينِ والأخلاقِ .. وإن كان هذا في نظرِنا عيبًا وأمرًا شاذًا ، لأنه يخالفُ عقائدَنا وقيمَنا وعاداتِنا وتقاليدَنا ، فإنه لا يُعتَبَرُ عيبًا في مجتمعِهم بل شيئًا عاديًا ، وممارسةً للحريةِ الشخصيةِ التي يُقرُّها مجتمعُهم ، ويمارسونه علانيةً ودون خوفٍ من حسابٍ أو عقابٍ .. أما في مجتمعنا فإنّ الكثيرين يفعلون نفسَ الشيءِ ، ويرتكبون نفسَ العيبِ ، وهم يعلمون أنه عيبٌ ، وأنّ المجتمعَ يُحرّمُه والقانونَ يُجرّمُه .. وما أكثرَ ما يحدثُ في الخفاءِ ! أي أننا نعرفُ العيبَ ، ومع ذلك نفعلُه !!..

الأحلامُ الورديّةُ .. للحكومةِ الهيروغليفيّةِ !!

في ختامِ عامِ ٢٠٠٣م وقد بقي على حلولِ العامِ الجديدِ ٢٠٠٤م ثلاثةُ أيامٍ تقريبًا ، أعلنت حكومتُنا السنيّةُ في بيانِها الحكوميِّ أمامَ مجلسِ الشعبِ عن أخبارٍ سارّةٍ كما ذكرتْ جريدةُ الجمهورية ، وكما اعتادت حكومتُنا السنيّةُ في ختامِ كلِّ عامٍ ، وأعلنتْ عن وعودِها الورديّة المعتادةِ ، للعمّالِ والموظفين ومحدودي الدخلِ ، وكانت العناوينُ الكبيرةُ تقولُ :
خفضُ أسعارِ السّلعِ الرئيسيةِ ... مليونُ وظيفةٍ سنويًا ... علاوةٌ اجتماعيةٌ ١٠% ... ١٠ آلافِ جنيهٍ بوليصةَ تأمينٍ لكلِّ أسرةٍ لديها أقلُّ من ٣ أطفالٍ ... تيسيراتٌ وإعفاءاتٌ جديدةٌ بقروضِ الصندوقِ الاجتماعيِّ .. طرحُ ٤,١ مليون فدّانٍ للاستثمارِ الزراعيِّ بتوشكي .. تنفيذ تكليفاتِ مبارك .. رفعُ مستوى المعيشةِ .. زيادةُ الصادراتِ .. الارتقاءُ بالمرافقِ والخدماتِ .. ضبطُ الأسعارِ والأسواقِ .. صرفُ القروضِ الأسرية بالقرى والأحياء .. استمرارُ دعمِ السّلعِ الأساسيةِ والإسكانِ الشعبيِّ والنقلِ العامِ والعلاجِ على نفقةِ الدولةِ .

ووجدتُني أبتسمُ ثم أضحكُ ثم يعلو صوتي بالضحكِ ، مما جعل صديقي الذي كان يجلسُ معي يسألُني عن سببِ هذا الضحكِ المفاجئِ ، فقلتُ له : سببُ ضحكي أنني تذكّرتُ البيانَ الحكوميَّ الذي أعلنه نفسُ رئيسِ الوزراءِ الحالي أمامَ مجلسِ الشعبِ أيضًا في نهايةِ عامِ ٢٠٠٢م وقبيلَ حلولِ عامِ

٢٠٠٣م ، عندما أعلن عن التصريحات الوردية لحكومتنا السنيّة ، فأراح الصدورَ ، وأفرغها من الهمِّ والنفورِ ، وبشّرنا بالعبورِ ، من القصورِ وبالخطوةِ السريعةِ إلى القبورِ !!..

وكان لابد أن يُصدِّقَ هذا الشعبُ الصّبورُ حكومتَه السنيّةَ كما صدّق غيرَها في سائرِ العصورِ ، وكما صدّقها في نِهايةِ العامِ غيرِ المنصرمِ ، وفي نِهايةِ العامِ قبل غيرِ المنصرمِ !! وصدّقَ الشعبُ عبارةً واحدةً صادقةً للحكومةِ هي : (شُرُمْ بُرُمْ) !!..

وقد لمس الشعبُ بنفسِه ، وبذكائِه وحسِّه ، وبعد ضِيقه ويأسه .. عندما بحثَ ودقّقَ ، ورأى بعينيه ما تحقّقَ .. من عظيمِ الإنجازاتِ ، وتحقيقِ المعجزاتِ !!..وعلى هذا الشعبِ أن يحمدَ اللهَ ويشكرَه ، وألاّ ينسى ما قدّمته الحكومةُ أو يُنكرَه !!.. وإلاّ كان شعبًا جاحدًا ، ومن الوفاءِ متجرِّدًا ، وعلى النّعمةِ متمرِّدًا !!..

ومما أنجزته حكومتُنا من المعجزاتِ ، التي أخرجتنا من المآزقِ والمتاهاتِ .. وأنقذتنا من الموتِ الذي كان من المفروضِ ، بعد حكايةِ الهَبْرِ وهروبِ أصحابِ القروضِ !!.. فقد باعت الكثيرَ من الشركاتِ ، لرجالِ الأعمالِ لفكِّ الأزماتِ .. ووفّرت للشعبِ الكثيرَ من القوت ، وألبسته الحريرَ وجمّلته بالمرجانِ والياقوتِ !!.. وألبسته الأحزمةَ الضيِّقةَ الْمُحْكَمَةَ حتى لا يموت ، ووفّرتْ لغذائه الفولَ والمِشَّ وأوراقَ التوتِ !!..

ومن تصريحات ختامِ عامِ ٢٠٠٢م ، التي أعلنتها ألْسِنَةُ حكومتنا الفتيّة ، وباللغة الهيروغليفيّة ، حتى يفهمَها أصحابُ العقولِ غيرِ الذكيّة .. في الإعلامِ المسترسلِ ، والمتمثلة فيما يلي :

الحكومةُ تقومُ بتنفيذِ توصياتِ الرئيسِ محمد حسني مبارك لرفعِ المعاناةِ عن الجماهيرِ !!

رئيسُ مجلسِ الوزراءِ : رعايةُ محدودي الدخلِ مسئوليتي ، لأنّها تكليفٌ لنا من الرئيسِ حسني مبارك !!

وظائفُ جديدةٌ للخرّيجين ، ومزايا وحوافزُ للموظفين ، وزيادةُ معاشاتِ الفقراء والمحتاجين !!

ثلاثةُ آلافِ فرصةِ عملٍ !!

تشغيلُ سبعين ألفِ خرّيجٍ !!

نحن نعملُ من أجلِ الحاضرِ والمستقبلِ ، وما تمّ في مصرَ حتى الآنَ يُعتَبَرُ معجزةً !!

الحكومةُ تضمنُ أموالَ المودعين ، والاقتراضُ العشوائيُّ انتهى إلى الأبدِ !!

إعادةُ جدولة ٢،٦ مليار جنيه ديونًا على الفلاحين والمزارعين !!

المشروعاتُ القوميةُ الكبرى ليست محلّك سرْ .. بل في تقدّمٍ مستمرٍّ ، وهي طاقةُ نورٍ لنهضةِ مصرَ الاقتصادية !!

إنّ حريةَ الصحافةِ هي جزءٌ من منظومةِ العملِ الوطنيِّ !!

ويبدو أنه كانت هناك تصريحاتٌ ورديةٌ أخرى ، في جُعْبَة الحكومة الفرعونية ، لم يتّسعْ وقتُ التليفزيون (الثمينُ) لإعلانها ، لأنه مُتْخَمٌ بالإعلانات ، المليئة بالخزعبلات ، والمسابقات والراقصات !!.. وتقديرًا لجهود حكومتنا الرشيدة ، في المجالات العديدة .. سأذكرُ ما لم تتمكّنْ الحكومةُ من إعلانه ، وما عجزتْ عن بيانه .. تعبيرًا عن تقديري وحبّي ، والوَجَعِ الذي يملأُ قلبي !!.. وبإحساسِ مواطنٍ مبسوط ، خالٍ من المعاناة أو الضغوط !!.. والتصريحاتُ الحكوميةُ الْمَخْفِيَة ، في السطورِ (اللي جاية) :

ستوفّرُ حكومتُنا السنيّة ، الحياةَ الهنيّة .. لكلّ مواطنةٍ ومواطن ، ولكلّ حيٍّ وكائن .. وسنحقّقُ الرفاهيةَ والمجد ، والثراءَ لكلّ فرد ، ومن قَدَّمَ السبتَ ، وَجَدَ أمامَه (الحدَّ) .

وسنضاعِفُ من استيرادِ الحمّصِ واللّبِّ ، للتسلية أثناء مشاهدة الفيديو كليب .. ونتوسّعُ في إنتاجِ الشباشبِ والقباقيبِ ، للشبابِ والعجائزِ الكراكيبِ .. وسنكثّفُ من حجمِ العمالةِ ، لإزالةِ (جزءٍ) من أكوامِ (الزبالةِ) .. ولن نتركَ منها في أيِّ شارعٍ من أحياءِ المواطنين ، أكثرَ من عشرةِ أكوامٍ ، والتي ستُزالُ خلالَ عِدّةِ أعوامٍ !!.. مادام كرمُ المواطنين قد امتدَّ إلى التبرّعِ " تلقائيًا " وبروحٍ رياضيةٍ ، بدفعِ تكاليفِ النظافةِ وإضافةِ هذه التبرعاتِ إلى فواتيرِ الكهرباءِ !!..

وسنضعُ ونُعَلّي الكثيرَ من المطبّاتِ ، في الشوارعِ والحاراتِ .. لإتلافِ العديدِ من السياراتِ ، لتحقيقِ المكاسبِ والثرواتِ ، لأصحابِ ورَشِ الميكانيكا والسمكراتِ !!..

وسنستمرُّ في محاربةِ الدروسِ الخصوصيةِ ، بنشرِ المجموعاتِ المدرسيةِ .. التي تخربُ البيوت ، وترشّدُ من استهلاكِ الطعامِ والقوت !! وتحوّلُ المدرسين والمدرساتِ ، إلى أسودٍ ودَيْنَاصُورَات !!

وسنحوّلُ المستشفياتِ الحكومية ، إلى مستشفياتٍ استثمارية .. من نوعيّةِ الْخَمَس نجوم ، التي تفرّجُ الكربَ وتزيلُ الهموم !!..

أموالُ المودعين ، من المرضى والْمُوَدِّعين .. من مسئولياتنا ، وأمانةٌ في أعناقنا ، فاطمئنوا ، وافرحوا وغنُّوا .. وبإذنِ واحدٍ أحد ، الفردِ الصّمد .. سنشتري بها باقاتٍ من الورودِ والزهورِ ، ونوصّلُها لأصحابِها وأحفادِهم ، ونضعُها على شواهدِ مساكنِهم في القبورِ !!..

وسنُكثرُ من الأوتوبيساتِ ، السياحيةِ والْمُكَيَّفَاتِ .. ولن يزيدَ ثمنُ التذاكرِ عن خمسِ جنيهاتٍ ، بما فيها من ضرائبِ المبيعاتِ ، حلاًّ للمشكلاتِ ، وللقضاءِ على جشعِ التاكسياتِ ، وبَهدلةِ الميكروباصاتِ !!..

وسنضاعفُ الحمايةَ والحراساتِ ، لمنازلِ أهلِ القمّةِ والخواجاتِ ، والعاملين في الحكومةِ والوزاراتِ ، حتى يتفرّغوا باطمئنانٍ لخدمةِ المواطنين ،

ويقلّلوا من تعقيداتِ الروتين ، وإنجازِ مصالحِ المواطنين ، الموءودةِ في أدراجِ الموظفين ، من عشراتِ السنين !!..

وسنوصي القضاةَ والمحامين ، بالإسراعِ والبتِّ في قضايا المواطنين ، من الصابرين والمنتحرين ، بحيثُ لا تزيدُ مدةُ نظرِ القضيةِ أكثرَ من ثلاثين من السّنين !!

وسنسمحُ لكلّ مواطنٍ ، وكلّ مقيمٍ وقاطنٍ .. أن يمتلكَ (فيللاّ) لكلّ (قزازة) ، وأن يكونَ لكلّ طفلٍ لُعبةٌ و(بزّازة) !! كما سنسمحُ لكلّ الشبابِ ، أن يلعبوا في الشوارعِ بالكرةِ الشرابِ .. حتى لا يحسدوا أعضاءَ الأنديةِ ، ولا يدفعوا فيها الاشتراكاتِ الغالية !!.. توفيرًا لمصروفاتهم ، وحفاظًا على نفسياتِهم !!

وسنُخْلِي معظمَ الشوارعِ ، من العساكرِ الروادعِ .. حتى نوفّرَ الحريّةَ للشبابِ ، لضربِ النوافذِ بالكرةِ الشرابِ .. والجلوسِ على أسطحِ ومقدّماتِ السياراتِ ، ليلعبوا (الكوتشينةَ) ويصرخوا بالضحكاتِ .. وينسجموا بالبانجو وسائرِ المخدِّراتِ !!..

أما عن التليفوناتِ ، فقد رأت حكومتُنا الحنونةُ ألاّ تفاجئَ المواطنين بقرارٍ قد يؤثّرُ في نفوسِهم ، ويتسبّبُ في فَلَسِهم وضيقِ أنفسِهم ، فقرّرت بصورةٍ خفيّةٍ وتعليماتٍ سرّيةٍ ، رفعَ قيمةِ التمغةِ على فاتورةِ التليفوناتِ ، من أربعين

قرشًا إلى ستمائة وخمسين قرشًا .. أي بنسبة تصلُ إلى ثلاثة عشرَ ضعفًا .. وعلى جميع المواطنين أن يشكروا حكومتهم الحنونة على مراعاتها لمشاعرهم بعدم الإعلان عن ذلك ، حتى لا تزدادَ حالاتُ الوفيات بالسكتة القلبية !!

بارك اللهُ في حكوماتنا المتتالية ، وتصريحاتها الغالية .. التي حفظناها عن ظهرِ قلبٍ ، ويتغنّى بها كلُّ أمّ وأبٍ ، ليفرّجوا عما بهم من غُلْبٍ وكَرْبٍ !! وندعو الله العظيم ، ربّ العرشِ الكريم .. أن يبعثَ من القبورِ آباءنا وأجدادنا ، ليشاهدوا أمجادَنا .. بعد انتهاءِ الخطّة الخمسينية أو التسعينية ، وما يُحتَمَلُ أن يتحقّقَ بالوعودِ المرويّة .. عن الأحلامِ الوردية ، لحكومتنا السنيّة.. والإنجازات الرائعة ، ، إن شاء اللهُ وبدون مقاطعة ...

مع بداية الألفيّة الرابعة !!!!....

من هَــدْيِ الرّســولِ

(ستُفتَحُ عليكم بعدي مصرُ ، فاستوصوا بقبطِها خيرًا فإنّ لهم نسَبًا وصِهرًا) "حديث شريف" (من كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" — أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأنابكي ، جمال الدين)

(إذا فتح اللهُ عليكم مصرَ ، فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا ، فذلك الجندُ خيرُ أجنادِ الأرضِ) فقال أبو بكرٍ : ولِمَ كان أولئك الجندُ خيرَ أجنادِ الأرضِ ؟ فقال : (لأنهم وأزواجَهم في رباطٍ إلى يومِ القيامةِ) "حديث شريف"(من كتاب " قطوف من أدب النبوّة " لأحمد حسن الباقوري)

(ويلٌ للذي يُحدِّثُ فيكذبُ ليضحكَ به القومُ ، ويلٌ له ثم ويلٌ له)
"حديث شريف" — "أخرجه أبو داود والترمذيّ والنسائيّ بإسناد صحيح "

كَرَمٌ إلَهيٌّ كَبيرٌ :

(يقولُ اللهُ يومَ القيامةِ للكرامِ الكاتبين : أكتبوا لعبدي من الأجرِ كذا وكذا ، فيقولون : ربَّنا إننا لم نجدْ ذلك منه ولا هو في صحفنا فيقولُ لهم : إنّ عبدي نَوَى ولكنه لم يتمكّنْ من فعله ، وأنا به عليمٌ)
" حديث شريف " — رواه أبو يعلي مرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عليه الصلاةُ والسلامُ : (مَنْ وُلِّيَ من أمرِ المسلمين شيئًا ، فولّى رجلاً وهو يجدُ من هو أصلحُ منه ، فقد خانَ اللهَ ورسولَه) !!..

عن أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي اللهُ عنه قال : ياأيّها الناسُ ، إنكم تقرءون هذه الآيةَ : [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهتَدَيْتُمْ] !!.. وإنّا سمعنا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : (إنّ النّاسَ إذا رأوْا المنكرَ لا يُغيِّرونه ، أوشك أن يعمَّهم اللهُ بعقابِه) !!..

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ قال ، قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : (والذي نفسي بيدِه ، لَقَتْلُ مؤمنٍ أعظمُ عند اللهِ من زوالِ الدنيا) !!..

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (من قتل رجلاً من أهلِ الذّمةِ ، لم يجدْ رِيحَ الجنّةِ ، وإنّ ريحَها لَيُوجَدُ من مسيرةِ سبعين عامًا) !!..

التدخينُ والسّكتةُ المخيّةُ !!

بعدَ العديدِ من الأبحاثِ العلميةِ التي أُجريَتْ لمعرفةِ آثارِ التدخينِ على صحةِ الإنسانِ ، اتّضح أنّ التدخينَ يُعتبرُ من أهمِّ الأسبابِ التي ينتجُ عنها السّكتةُ المخيّةُ ، وأنّ إصابةَ المدخنين بهذه السّكتةِ تزدادُ بنسبةِ ثلاثةِ أضعافٍ من يُصابُ بِها من غيرِ المدخنين .

كما أثبتت الأبحاثُ أنّ التدخينَ يتسببُ في إحداثِ تغييراتٍ في نسيجِ الغشاءِ المخاطيِّ للبلعومِ ، مما يؤدّي إلى حدوثِ التهابٍ مزمنٍ يمكنُ أن يتطوّرَ إلى سرطانِ البلعومِ .. وقد أكّد الدكتور سامي الشاذلي ، أستاذُ الأمراضِ العصبيةِ ، بجامعةِ الزقازيقِ ، في بحثٍ ألقاه في المؤتمرِ العلميِّ الأوّلِ لجمعيةِ مكافحةِ التدخينِ ، أنّ هناك علاقةً وثيقةً ، بين التدخينِ وحدوثِ السّكتةِ المخيّة .. كما أثبتَ أنّ الذين يدخنون أكثرَ من أربعين سيجارةً يوميًا يزيدُ معدّلُ إصابتِهم بالسّكتةِ القلبيةِ ، بمعدّلِ الضّعف عن الذين يدخنون أقلَّ من عشر سجائرَ يوميًا .. وأثبتت التجاربُ أيضًا أنّ الإقلاعَ عن التدخينِ لا يؤدّي إلى حمايةٍ سريعةٍ من الإصابةِ بالسّكتةِ المخيّةِ ، بل يجبُ أن تمرَّ علي الشخصِ الذي أقلع عن التدخينِ ، فترةٌ طويلةٌ تصلُ إلى خمسِ سنواتٍ حتى يتساوى مع الشخصِ غيرِ المدخّنِ .

ويشيرُ الدكتورُ الشاذلي أنّه توجدُ أسبابٌ حتميةٌ لا دخلَ للإنسانِ فيها لحدوثِ السّكتةِ المخيّة ، مثلُ السِّنِ .. حيث أنّها تحدثُ غالبًا لمن تجاوز عمرُهم الستين عامًا ، وأنّ الرجلَ يكونُ أكثرَ عُرضةً لهذا المرضِ من المرأة .. وأنّ الجنسَ الأسودَ مُعَرَّضٌ للإصابةِ بها أكثرَ من الأجناسِ الأخرى .. أما عن الأسبابِ الأخرى لحدوثِ السّكتةِ المخيّة ، فهي ترتبطُ بأمراضٍ أخرى كارتفاعِ ضغطِ الدّمِ ، وارتفاعِ نسبةِ البولِ السكّري ، وزيادةِ الدهونِ في دمِ الإنسانِ .. كذلك أمراضِ القلبِ خاصّةً المتصلةِ بالشرايينِ والصماماتِ ، فضلاً عن التدخينِ .. كما توجدُ عواملُ هامشيةٌ لحدوثِ السّكتةِ المخيّةِ كالبدانةِ المفرطةِ ، وحدوثِ صداعٍ نصفيٍّ متكرّرٍ ، أو سوءِ استخدامِ بعضِ الأدويةِ .

ومن خلالِ دراسةٍ أجراها الدكتورُ أحمد المراغي ، أستاذُ الأنفِ والأذنِ والحنجرةِ المساعدُ ، أكّد تأثيرَ التدخينِ على البلعومِ ، وأنّ التدخينَ يُسبّبُ تغييراتٍ هيستولوجيةً وهيستوكيميائيةً في الغشاءِ المخاطيِّ للبلعومِ ، مما يؤدّي لحدوثِ التهابٍ مزمنٍ للبلعومِ ، كما رأى أنه في بعضِ الحالاتِ تتحوّلُ هذه التغييراتُ إلى أورامٍ سرطانيةٍ .. وقد أُجْرِيَتْ الدراسةُ على سبعين رجلاً تتراوحُ أعمارُهم بين ١٥ و ٤٥ عامًا .. وتم فحصُهم إكلينيكيًا لاستبعادِ إصابتهم بأيّةِ أمراضٍ عضويةٍ ، وتم أخذُ عيّناتٍ من الغشاءِ المبطّنِ للبلعومِ تحت تأثيرِ المخدّرِ الكلّي أثناءَ عمليةِ استئصالِ اللوزتين .. كما تم تقسيمُ المدخنين إلى ثلاثةِ أقسامٍ حسبَ عددِ السجائرِ التي يدخنونها يوميًا في عددِ

سنوات التدخين .. وقد وُجِدَ أنّ هناك علاقةً طرديةً بين التغييراتِ في النسيجِ المخاطيِّ للبلعومِ وبين زيادةِ معدّلاتِ التدخينِ ، وأنه في حالة التدخينِ المتوسطة ، تبيّن وجودُ تغييراتٍ ملحوظةٍ في النسيجِ الضّامِ أسفلَ الطبقةِ الطلائيةِ للبلعومِ ، مع ظهورِ مجموعاتٍ من الخلايا الالتهابيةِ ، مع تمدّدٍ في الأوعيةِ الدمويةِ يصاحبُه زيادةٌ بسيطةٌ في الأحماضِ النوويةِ والجليكوجين بالخلايا .. أما في مجموعةِ المدخنين فوق المتوسطِ فظهرت نفسُ التغييراتُ السابقةُ ، بالإضافةِ إلى تغييرٍ في شكلٍ وحجمٍ وترتيبِ الخلايا ، وزيادةٌ متوسطةٌ في الأحماضِ النوويةِ والجليكوجين بالإضافةِ إلى التغييراتِ السابقةِ .. وفي حالةٍ واحدةٍ ظهر سرطانٌ مبكّرٌ ..

ويوصي الدكتورُ أحمدُ المراغي بضرورةِ امتناعِ الشخصِ عن التدخينِ لعدّةِ أسابيعَ قبلَ إجراءِ عمليةِ استئصالِ اللوزتين ، وعدمِ التدخينِ عدّةَ أيامٍ بعد العمليةِ ، حتى لا يتعرّضَ للنزيفِ أثناءَ وبعد الجراحةِ نظرًا للالتهابِ المزمنِ الذي يُحدثُه النزيفُ في البلعومِ .

وإني أضعُ هذه الحقائقَ العلميةَ أمامَ المدخنين ، لعلّهم يُدركون قبل فواتِ الأوانِ ، أنّ التدخينَ بابٌ لأضرارٍ بالغةٍ نحن في غنىً عنها .. وأقولُ للمصرّين على التدخينِ بعد كلّ ما ذكرناه : إنكم تُغفلون عقولَكم ، وتُهدرون أموالَكم ، وتعصون ربّكم.. ولنتذكّرْ قولَ ربّنا سبحانه وتعالى :

[وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ] صدق اللهُ العظيمُ

عُمْرُهُ ١٣٤ عَامًا لَمْ يَتَعَامَلْ مَعَ الدَّوَاءِ وَلاَ الأَطِبَّاءِ !!

كثيرون من أصدقائي يندهشون عندما يروْني أُصِرُّ على عدمِ تناولِ الدَّواءِ أو التعاملِ مع الأطبّاء .. ويستنكرون ذلك ويقولون إنّ من خَلَقَ الدّاءَ خَلَقَ الدّواءَ .. وأنا لا أعترضُ على قولِهم ، ولكن تعوّدتُ على أن أعملَ بمبدأ يريحُني (الوقايةُ خيرٌ من العلاجِ) .. ولديّ قناعةٌ بأنّ الجسمَ يُصْلِحُ نفسَه ، بما أعدَّ اللهُ له من أجهزةٍ وقِيَمٍ تحميه من كلّ شرٍّ ، إذا ما التزم العبدُ بأوامرِ اللهِ تعالى واجتنب نواهيه [أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] " ١٤ الملك " .. وأنا أُؤمنُ بأنّ أوامرَ اللهِ ونواهيه هي لصالحِ الإنسانِ ولصَوْنِ جسدِه والمحافظةِ على حياتِه وصحتِه البدنيةِ والنفسيةِ والروحيةِ .

فالإيمانُ عن يقينٍ بأنّ الأمرَ للهِ من قبلُ ومن بعدُ ، والتسليمُ بقضاءِ اللهِ والرّضى بما قسمَه من أعظمِ النّعَمِ التي تُجنّبُ الإنسانَ الوقوعَ فريسةً للأزمات والعُقَد النفسية .. فإذا اطمأنّ المؤمنُ إلى قولِ اللهِ تعالى : [أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] وقوله تعالى: [وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ] " ٢٧ الشورى " لرحمَ نفسَه من عناءِ الفكرِ في ضيقِ الرّزقِ أو اتّساعه ، ولأيْقَنَ أنّ رزقَه لن يأخذَه غيرُه !!

وجاء في معنى حديثٍ شريفٍ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن تطوّرِ خلقِ الإنسانِ في بطنِ أمِّه : (إنّ خَلْقَ أحدِكم يوضَعُ في بطنِ أمِّه أربعين

يومًا ، ثم يصيرُ عَلَقَةً مثلَ ذلك ، ثم يصيرُ مُضْغَةً مثلَ ذلك ، ثم يبعثُ الله مَلَكًا بأربعِ كلماتٍ : يكتبُ رزقَه وعملَه وأجلَه وشقيٌّ أم سعيدٌ)
أي أنّه في علمِ الله تعالى ما سيكونُ للعبدِ من رزقٍ وعملٍ وعُمْرٍ وأسلوبِ حياته من الشقاء أو السعادة .. إذن ، فلماذا يَقْلَقُ الإنسانُ ويشغلُ بالَه بهذه الأمورِ ؟! .. وليس معنى ذلك أن يتكاسلَ أو يتواكلَ أو يتركَ العملَ ، ولكن عليه أن يعملَ ويجتهدَ ، ثم يتركَ الأمرَ بعد ذلك لله تعالى ، ويرضى بما قسمه الله ويُريحَ بالَه .. فيعيشَ راضيًا هانئًا بعيدًا عن المنغّصاتِ والأزماتِ !!..

ومن وسائلِ الوقايةِ التي هي خيرٌ من العلاجِ ، عدمُ الإسرافِ في الطعامِ والشرابِ ، كما جاء في قولِ الله تعالى : [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]" ٣١ الأعراف " وما جاء في معنى حديثِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم : (بحسْبِ ابنِ آدمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ أودَه فإن كان لابد فاعلاً فثلُثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنَفَسه) ولْنتذكّرْ قولَه : (نحن قومٌ لا نأكلُ حتى نجوعَ وإذا أكلنا لا نشبعُ)والحكمةَ التي تقولُ (المعدةُ بيتُ الدّاءِ والْحِمْيَةُ رأسُ الدّواء) ومعنى الحمية الإقلالُ من الطعام وقال حكيمٌ :" أقبلْ على الطعام وأنت تشتهيه واتركْه وأنت تشتهيه " وبهذه المفاهيمِ الصحيةِ نستطيعُ بفضلِ الله أن نتجنّبَ كثيرًا من الأمراض .

ولقد سمعتُ ذاتَ مرّة الدكتور مصطفى محمود وهو يقولُ : " تعلّمنا في كلّية الطبّ أنّ الدّواءَ يُصْلِحُ حالةً ويُفْسِدُ مائةَ حالةٍ " .

ونظرًا لما نقرأُ ونسمعُ ونشاهدُ في وسائلِ الإعلامِ المختلفةِ كلَّ يومٍ ، عن أطنانِ الأدويةِ المغشوشةِ أو التي انتهت مدّةُ صلاحيتها ، التي يضبطُها رجالُ الأمنِ ، وقصصِ التشخيصاتِ الخاطئةِ وصورِ الإهمالِ من بعضِ الأطبّاء .. كلُّ ذلك زادني قناعةً بعدمِ التعاملِ مع الدّواءِ أو الأطبّاء .. وما ضاعف من هذه القناعةِ عندي ما قرأتُه عن كثيرٍ من المعمِّرين الذين ذكروا أنّهم لا يتعاطون الدّواءَ ، ولا يترددون على الأطبّاء .

وفي جريدةِ الجمهوريةِ الصادرةِ يومَ السبتِ الموافقِ الثاني والعشرين من فبراير ٢٠٠٣ قرأتُ عن أكبرِ معمِّرٍ في مصرَ ، واسمُه سليمان عبد العال ، وعمرُه الآنَ ١٣٤ عامًا .. ومولودٌ في عامِ ١٨٦٩م ، وهو لا يزالُ يحتفظُ بما أنعم اللهُ عليه من صحةٍ وعافيةٍ ، ولا يشعرُ إلاّ ببعضِ الألمِ في ركبتيه ، ومع ذلك يرفضُ التداوي عند الأطبّاءِ .. وتقتصرُ علاجاتُه على شربة " الحنضلِ واللبنِ " ليُطهِّرَ بها معدتَه ، ويقولُ إنه يتداوى بالتعاويذِ والرُّقَى والكيِّ لبعضِ الآلامِ مثلَ الجروحِ والصداعِ ، أما الأمراضُ العصريةُ مثل السُّكّرِ وضغطِ الدّمِ فلم تعرفْ طريقًا إليه .

قولوا ما شئتم أن تقولوا .. فمهما كانت وجهاتُ نظرِكم ، فلن تتغيّرَ وجهةُ نظري ، وسأقتصرُ في علاجاتي على عسلِ النحلِ ، الذي قال ربُّ العزّةِ فيه : [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] وكذلك حبّةِ البركةِ التي قال عنها رسولُنا الحبيبُ : (عليكم بتلك الحبّةِ السوداءِ ، فإنّ فيها شفاءً لكلِّ داءٍ إلاّ السّام) وصدق اللهُ ورسولُه .

الصَّـــوْتُ أَمَانَـــةٌ

أيّها القرّاءُ الأعزّاءُ .. في أيّةِ انتخاباتٍ قادمةٍ .. في المجالسِ التشريعيةِ والمحليةِ ، أو النقاباتِ .. أو في مجالسِ الإداراتِ .. اتّقوا اللهَ ربَّكم في أصواتِكم .. ولا تعطوها إلاّ للمخلصين الأكفاءِ من زملائِكم .. إنّها أمانةٌ ثقيلةٌ .. فمن أخذها بحقّها ، جُوزِيَ عنها خيرًا كثيرًا .. ومن أخذها بغيرِ حقّها ، حُوسِبَ عليها حسابًا عسيرًا !!.. فلا تظلموا أنفسَكم وتُغيِّبوا ضمائرَكم وتستهينوا بهذه الأمانةِ وتخونوها ، فخيانتُها خيانةٌ للهِ ورسولِه !!..
وأقولُ لمحترفي التلاعبِ في الانتخاباتِ وتشكيلِ القوائمِ والتكتلاتِ ، وأصحابِ العصبيةِ والقبليةِ : أنصتوا إلى ما قاله خيرُ البريةِ ، رسولُنا الكريمُ صلى اللهُ عليه وسلم :

(مَنْ وُلِّيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلمينَ شَيْئًا ، فَوَلّى رَجُلاً وَهُوَ يَجدُ مَنْ هُوَ أَصْلَحُ مِنْهُ ، فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ !!)

والخضوعُ للضغوطِ أو المجاملةِ ، واختيارُ من لا يصلحُ ، أو الاختيارُ العشوائيُّ هو المنكَرُ بعينه ، الذي ينهانا اللهُ ورسولُه عنه .. لأنّه مُكَذِّبٌ للصَّدُوقِ .. ومُضَيِّعٌ للحقوقِ ، ومؤكّدٌ للشهادةِ الزّورِ التي حذّرنا منها اللهُ ورسولُه ، وتذكّروا حديثَ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ !!)

أيّها المدرِّسون .. اتَّقوا اللهَ !!

أيّها الزملاءُ المعلّمون .. قبل أن أخوضَ في موضوعِ العنوانِ الذي اخترتُه لهذا المقالِ ، أحبُّ أن أُعْلِمَكم بأني زميلٌ لكم .. وإن كنتُ قد تركتُ الخدمةَ وأُحِلْتُ إلى المعاشِ ، إلاّ أني مازلتُ أخدمُ زملائي المعلّمين من خلالِ العملِ النقابيِّ ، من موقعي كنقيبٍ للمعلّمين في إدارةِ عابدين التعليميةِ بالقاهرةِ .. ويعرفُ زملائي في الإدارةِ ، بل وزملائي رؤساءُ النقاباتِ الفرعيةِ الأخرى ، كما يعرفُ السيدُ النقيبُ الحبيبُ الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمي ، والسيدُ الأمينُ العامُ الأستاذ الدكتور محمد كمال سليمان ، والأساتذةُ أعضاءُ هيئةِ مكتبِ النقابةِ العامّةِ ، كلُّهم يعرفون أنني من أشدِّ المدافعين عن زملائي المعلّمين ، وعن كرامتِهم .. ومحاضرُ جلساتِ النقابةِ على مدى سنواتٍ طويلةٍ ، تسجِّلُ الكثيرَ من اقتراحاتي التي كنتُ أطالبُ فيها بتكثيفِ الرعايةِ الصحيةِ للمعلّمين ، وتطويرِ العملِ بمستشفى المعلّمين ، وزيادةِ المعاشاتِ والإعاناتِ المرضيةِ ، وتوسيعِ دائرةِ الخدماتِ الترفيهيةِ بالتوسّعِ في بناءِ المصايفِ .. كما طالبتُ كثيرًا بضرورةِ قيامِ النقابةِ بمسئولياتها في مجالِ الدفاعِ عن قضايا المعلّمين ، وخاصّةً ما يتعلّقُ بالقراراتِ الوزاريةِ التي تُبْعِدُ بعضَ الزملاءِ عن التدريسِ وتنقلُهم إلى المحافظاتِ النائيةِ ، دون تحقيقٍ دقيقٍ ! حتى أني أدركتُ أنّ بعضَ صدورِ المسئولين قد ضاقت بكثرةِ انتقاداتي واعتراضاتي ، لدرجةِ أنّهم أطلقوا عليّ لقبَ (مشاغبِ النقابةِ) !!..

ويعلمُ الجميعُ أنني والحمدُ لله ، لم أطلبْ شيئًا خاصًا لمصلحتي ، رغمَ العلاقةِ الطيبةِ التي كانت تربطُني بكثيرٍ من كبارِ المسئولين ، وإنما كانت مطالبي تنحصرُ في خدمةِ زملائي على وجهِ العمومِ !!..

وقد يتساءلُ البعضُ عن سببِ سردِ هذه الموضوعاتِ ، وقد يظنُّ البعضُ أنني أذكرُ كلَّ ما ذكرتُه من بابِ الدعايةِ الانتخابيةِ لنفسي .. وأقولُ لهم إنني أعرفُ تمامًا أنّ البابَ مُغْلَقٌ أمامي لعضويةِ مجلسِ النقابةِ العامّة ، لأن الكثيرين يعتقدون أنّ عضويتي في هذا المجلسِ قد تُسبِّبُ لهم المضايقةَ أو الحَرَجَ .. ولهذا فأنا لا أطمعُ في هذا الشرفِ .. ويكفي أن أستمرَّ في خدمةِ زملائي من خلالِ موقعي الحالي ، ومن خلالِ كتاباتي !!

وقد يقولُ قائلٌ : إذن ما سببُ هذه المقدّمةِ التي تكلّمتُ فيها عن نفسي ؟! وللإجابةِ عن ذلك القولِ أقولُ : إنّ ما ذكرتُه كمقدّمةٍ ، أردتُ به أن أُوضّحَ لزملائي أنني معهم قلبًا وقالبًا في كلِّ قضاياهم (العادلةِ) ، وأنني لا أدّخرُ وسعًا في الدفاعِ عنهم وعن مصالحهم ، مهما لاقيتُ من الهجومِ ومهما رأيتُ على الوجوهِ من وجومٍ !!.. وأنا وغيري من جميعِ الزملاءِ الشرفاءِ ، مع القضايا العادلةِ ومع أصحابِ الحقوقِ ..

ولكننا لن نكونَ أبدًا مع المسيئين ومعتادي العقوقِ !!

هناك كثيرٌ من الأمورِ التي أعارضُها وأختلفُ فيها مع السيد الدكتور وزيرِ التربيةِ والتعليمِ ، ولكن ليس هذا مجالاً لذكرِها حتى لا نخرجَ عن الموضوعِ .. **ولكني مع سيادته** وبكلّ قوّتي وقناعتي ، وكذلك يقفُ جميعُ الزملاءِ الشرفاءِ مع السيدِ الدكتورِ الوزيرِ في حملتِه ضدَّ **دَيْنَاصُورَاتِ الدُّرُوسِ الْخُصُوصِيَّةِ** ، الذين فاقت ممارساتُهم كلَّ تصوّرٍ معقولٍ ، وكلَّ أمرٍ مقبولٍ !!.. فإنّ عمليةَ الدروسِ الخصوصيةِ قد بلغتْ حدًّا لايُطاقُ ، وأساءت إلى الرسالةِ المقدّسةِ لمهنةِ التعليمِ ، كما شوّهتْ صورةَ المعلّمين أمامَ أولياءِ الأمورِ ، الذين ضاقت صدورُهم ، وأمامَ غيرِهم من فئاتِ المجتمعِ .. وأصبحنا كأناسٍ ننتسبُ لمهنةِ التعليمِ ، في وضعٍ أشدِّ حَرَجًا ، مما يجعلُنا ننادي بأعلى صوتٍ ونقولُ :

لابدّ من وقفةٍ جادّةٍ وحاسمةٍ لمواجهةِ التصرّفات الآثمة !!..

ولابد أن يكونَ لجميعِ الشرفاءِ من المعلّمين في جميعِ مواقعِهم موقفٌ حازمٌ ومؤثّرٌ للقضاءِ على هذا الوباءِ السرطانيِّ المدمّرِ لأهدافِ التعليمِ والمسيءِ إلى كرامةِ المعلّمين .. كما نطالبُ النقابةَ العامّةَ وجميعَ النقاباتِ الفرعيةِ للمعلّمين أن يشاركوا جميعًا وبكلّ قوّةٍ ودون هوادةٍ للتصدّي لهذه الظاهرةِ الخطيرةِ ، التي أثقلتْ العبءَ على كاهلِ أولياءِ الأمورِ ، وزادت النفورَ وأوغلت الصدورَ ، ووضعتْ الوزارةَ والوزيرَ ، في وضعٍ حَرِجٍ أمامَ الجماهيرِ !!..

أنا لا أدافعُ هنا عن الوزيرِ ، ولكني أعطيه كلَّ الحقِّ في كلّ ما يتّخذُه من إجراءاتٍ وما يوقّعُه من جزاءاتٍ ، إزاءَ أيّةِ انحرافاتٍ أو مخالفاتٍ .. بل إني أطالبُ الجميعَ أن يقفوا معه ويؤيّدوه ويساندوه في حملته ، وألاّ يتركوه وحده في هذه المعركةِ الشّرسةِ ضدَّ الاستغلالِ والابتزازِ الرخيصِ ..

وكما نغضبُ وننتقدُ عندما يُغْضِبُنا أمرٌ غيرُ سليمٍ ، فإنه يجبُ علينا أن نشكرَ ونمتدحَ كلَّ تصرّفٍ كريمٍ .. وهنا يجدرُ بنا أن نشكرَ السيدَ الدكتورَ الوزيرَ على قرارِه الكريمِ والحكيمِ بزيادةِ مكافأةِ الامتحاناتِ إلى مائتَيْ يومٍ ، ونحن نُدرِكُ تمامًا أنّ هذه المكافأةَ ليست في الواقعِ عن أيّةِ امتحاناتٍ ، ولكنّها في الحقيقةِ منْحَةٌ من الوزارةِ لزيادةِ دخلِ المعلّمين ، كما يجبُ أن نعترفَ أيضًا بأنّ الوزارةَ بذلتْ الكثيرَ لتحسينِ الأوضاعِ الماليةِ للمعلّمين ، استجابةً لتوجيهاتِ السيدِ رئيسِ الجمهوريةِ المتكرِّرةِ .. وهذا ما يدفعُنا إلى تقديمِ الشكرِ والتقديرِ باسمِ المليونِ معلّمٍ للسيدِ رئيسِ الجمهوريةِ والسيد الدكتور وزيرِ التربيةِ والتعليمِ ، والسيدِ الدكتورِ النقيبِ والسيدِ الدكتور الأمين !!..

ونقولُ للسيدِ الدكتورِ الوزيرِ : نحن معك في حملتِك على محترفي الدروسِ الخصوصيةِ الذين تجاوزَ طمعُهم وجشعُهم كلَّ الحدودِ .. ولن يتراجعَ محترفو هذ الوباءِ عن غيِّهم إلاّ إذا اتُّخذَتْ الإجراءاتُ الحاسمةُ والرادعةُ ، حمايةً لسمعةِ الزملاءِ الشرفاءِ ، ورحمةً بأولياءِ الأمورِ البؤساءِ ، بالقضاءِ على هذا الشرِّ والبلاءِ !!..

ومساهمةً مني ونيابةً عن جميعِ الزملاءِ الشرفاءِ ، فإني أتقدّمُ ببعضِ المقترحاتِ التي أرجو أن تحظى بموافقتكم وتأييدكم ، وكذلك موافقةِ وتأييدِ النقابةِ العامّةِ للمعلّمين ، وتتلخّصُ مقترحاتي فيما يلي :

١- اعتبارُ قضيةِ محاربةِ الدروسِ الخصوصيةِ قضيةَ أمنٍ قوميٍّ .

٢- التعاونُ الوثيقُ بين الوزارةِ والنقابةِ في هذا المجالِ ، بما يُحقّقُ العدالةَ التامّةَ ، عند اتّخاذِ الإجراءاتِ الرادعةِ ضدَّ المنحرفين ، لتكونَ المسئوليةُ مشتركةً بين الوزارةِ والنقابةِ ، بحيث لا يتحمّلُها السيدُ الوزيرُ وحده . وأن تتفقَ الوزارةُ والنقابةُ على الإجراءاتِ التي يجبُ اتّخاذُها لتحقيقِ الهدفِ من الحملةِ ، على أن تُرْسَلَ النشراتُ الوزاريةُ والنقابيةُ التي تُوضّحُ الإجراءاتِ المتفقَ عليها ، إلى جميعِ المدارسِ والدواوينِ والإداراتِ التعليميةِ ، وأن يُوقّعَ الجميعُ عليها بالعلمِ ، حتى يكونَ هناك إعلامٌ كاملٌ وواضحٌ للجميعِ ، حتى يراجعَ كلُّ فردٍ نفسَه قبل أن يقعَ في المحظورِ .

٣- إتاحةُ الفرصةِ لتنظيمِ المجموعاتِ المدرسيةِ المتساويةِ ، وإلغاءِ صفةِ المجموعاتِ المتميِّزةِ ، حتى لايكونَ هناك فرقٌ بين طالبٍ وآخَرَ ، وكذلك إتاحةُ الفرصةِ لإعطاءِ الدروسِ الخصوصيةِ لمن يحتاجُها من الطلاّبِ ، في داخلِ المدرسةِ ، وبتنظيمِ الإدارةِ المدرسيةِ ورعايتِها والإشرافِ عليها والتأكّدِ من جدّيتِها ، على أن تكونَ بالأجورِ الرمزيةِ التي تُحقّقُ مزيدًا من الدخلِ للمعلمين ، وجميعِ العاملين بالمدرسةِ ، وتحلُّ مشاكلَ الطلاّبِ المتعثرين ، وتُخفّفُ الأعباءَ عن أولياءِ الأمورِ وتزيلُ من صدورِهم الضيقَ والنفورَ !!

٤- تشجيعُ تنظيمِ مجموعاتِ التقويةِ عن طريقِ النقاباتِ الفرعيةِ للمعلّمين ، والمراكزِ التعليميةِ المرَخَّصةِ ، والمعْتَمَدَةِ من الإدارةِ والوزارةِ ، بالأجورِ الرمزيةِ المناسبةِ ، مع توفيرِ المتابعةِ الدقيقةِ والمحاسَبَةِ الحازمةِ عن أيِّ إخلالٍ بالتعليماتِ التي تضعُها الوزارةُ أو الإداراتُ التعليميةُ في هذا الشأنِ .

٥- من يثبتُ عليه (بالتحقيقِ الأمينِ والدقيقِ ، واقتناعِ النقابةِ والمتابعةِ والرقابةِ) بأنه خالفَ التعليماتِ والتحذيراتِ ، وتأكّدَ بالقطعِ واليقينِ ، ممارستُه للدروسِ الخصوصيةِ خارجَ المدرسةِ ، تُوقَّعُ عليه الجزاءاتُ الآتيةُ :

(ا) يُحْرَمُ من مكافأةِ الامتحاناتِ التي تمنحُها الوزارةُ في نهايةِ العامِ ، كما يُحرَمُ من الانتداباتِ لأعمالِ الامتحاناتِ لمدّةِ خمسِ سنواتٍ .

(ب) يُنْقَلُ من مدرستِه ومن الإدارةِ التعليميةِ إلى إدارةٍ أخرى في نفسِ المحافظةِ ، وألاّ يكونَ النقلُ إلى محافظةٍ أخرى ، حفاظًا على شملِ أسرتِه ، ومراعاةً لنفسيتِه التي ربما تنعكسُ على أدائه ، مما يضرُّ بالعمليةِ التعليميةِ .

(ج) إذا تكرّرت المخالفةُ مرّةً ثانيةً ، يُنْقَلُ ثانيةً من مدرستِه ومن الإدارةِ التعليميةِ إلى إدارةٍ أخرى ، مع إعطاءِ بياناتٍ عنه بمخالفاتِه ، للمدرسةِ والإدارةِ الجديدةِ ، لمراقبتِه ومتابعتِه ، ويُعْطَى إنذارًا بالفصلِ من الوزارةِ ، وبإسقاطِ عضويتِه النقابيةِ إلى الأبدِ ، وإسقاطِ جميعِ حقوقِه لدى الوزارةِ والنقابةِ .

(د) تُرْسَلُ صيغةُ إقرارٍ إلى جميعِ مواقعِ العملِ التعليميِّ ، توضّحُ فيه كلُّ هذه الأمورِ ، ويُوقّعُ عليه جميعُ المعلّمين ، على مختلفِ مواقعِهم ودرجاتِهم الوظيفيةِ ، بالعلمِ والموافقةِ على ما جاء في الإقرارِ ، وأنه ليس من حقّهم

اللجوءُ إلى القضاءِ أو الطعنُ في القراراتِ التي تُتّخذُ بالتضامنِ من الوزارةِ والنقابةِ معًا .

وأقولُ إننا في هذه الظروف وبعد أن زاد الأمرُ سوءًا ، في حاجةٍ إلى وقفةٍ حازمةٍ ، بل وصارمةٍ ومؤثّرةٍ ، وإلى قرارٍ جريءٍ ، وتعاونٍ وثيقٍ بين الوزارةِ والنقابةِ للقضاءِ على هذه الظاهرةِ السيِّئةِ !!

وأعتقدُ أنه إذا نفّذنا هذه المقترحاتِ ، فإنّ كلَّ معلّمٍ سيُعيدُ حساباته ويُراجعُ نفسَه ألفَ مرَّةٍ قبل أن يُفكّرَ في المخالفةِ أو الانحرافِ .. وقد تنحسرُ موجةُ هذه الظاهرةِ التي استشرى أمرُها ، ويتحققُ الأمنُ والاستقرارُ للعمليةِ التعليميةِ ، ويتحققُ الأمانُ للهمومِ الأسريةِ !!..

وأودُّ أن أنبِّهَ إلى ظاهرةٍ أخرى لا تقلُّ خطورةً عن الدروسِ الخصوصيةِ المنفردةِ ، وهي بعضُ مجموعاتِ التقويةِ المنتشرةِ البعيدةِ عن المدارسِ ، والتي تتخذُ لنشاطِها بعضَ الشققِ أو الفيلاّتِ ، وهي لا تقلُّ استغلالاً وابتزازًا لأولياءِ الأمورِ ، مما يُحتّمُ أن تُتّخذَ ضدّها الإجراءاتُ الرادعةُ !!

وأرجو ألاّ يغضبَ مني دَيْنَاصُورَاتُ الدروسِ الخصوصيةِ بسببِ هذه الدعوةِ .. إذ ما قصدتُ إلاّ الصالحَ العامَ لمجتمعنا ، واستعادةَ الكرامة للمعلّمين ، وتصحيحَ الصورةِ والمسيرةِ ، عسى اللهُ أن يُوفقَنا جميعًا لما فيه خيرُ بلدنا ، ويُصلحَ من أعمالنا ، حتى يُصلحَ اللهُ من دنيانا وآخرتنا .. ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ، وفّقنا اللهُ إلى كلّ غرضٍ نبيلٍ ، وعلى اللهِ قَصْدُ السبيلِ !!

لُغْـــزُ الأُمَّـــةِ الْعَرِبيَّـــةِ !!

==============

عندي سـؤال ومحيّـرني ... طول الليل ومسـهّرني

ممكن حـدّ يصـبّرني ... ويقوللّي حلّ سـؤالي ؟!

ليـه الأمّـه العربيـّه ... محـرومه من الحـريّـه

ولا فيـش ديمقـراطيـّه ... بتهزّ الكرسـي العالـي

ولإمتى حانفضـل دايـمًا ... مكتـوم أنفاسـنا وحتمًا

ونعـانـي الظّلم ولازمًا ... نصـرخ ولا حـدّ يبالي

هُمَّ الْحُـكّام مش مِنّـا ... عـارفين عقيدتنا ودِينّـا

بيقول ع النـار والجنّـه ... وازّاي بيكـون الوالـي ؟!

واللاّ السُّـلطه بتنسّـي ... وتزيـدهم نـار وتأسّـي

في قلوبْهم لاجل الكرسي ... يفضـل دايـمًا طوّالي ؟!

وبينسـوا إنّ الدنيـا ... وما دامتْ زايـله وفانيـه

ما تسـاوي يوم ولا ثانيه ... وتمنها رخـيص مش غالـي

لو كنتـو بتقروا تاريخـنا ... أو إيـه بيقول مشـايخـنا

ما ظلمتم يوم ولا دُخْـنا ... ولا واحـد قال وانا مالـي

ياشـــعب ياعربي ياطيّب بتعيشـــوا ليـــه في تسيّب
وعدوّنا نـــاوِي قريّـــب يجـــعل أراضـــينا تســـالي
يجـــري ويبرطـــع فيـــها ولا واحـــد من أهاليـــها
فاهم أو حاسِـــس بيـــها مابقاش فيه نخـــوه رجالي
ســـيبتم أوطانـــكم لُقْمَه في إيدين الخَوَنَه والظَّلَمَه
راحِـــت بلا أيِّ مقاومه وانتـــم بتغـــنّوا ليـــالي

ياخساره وألف خســـاره على ماضي وأيّ حضـــاره
كانت للدنيـــا منـــاره مابقاش أبو زيـــد وهلالي
إنتو نسيتوا صلاح الدّين وانتصاراته ف يوم حِطّين ؟
ونسيتوا حتى فلســـطين مابقاش فيكم صوت عالي
لاجـــل يدافع عن بغداد ويصـــدّ الظَّلَمَه الأوغـــاد
ويقول حتى عيب ياولاد قوموا وكافحوا ياأبطالـــي
من كتـــر الظّلم ما طوّل بيخـــلّي النـــاس تتحـــوّل
ولا يُمكـــــن زيّ الأوّل ترجـــع تِهْتِـــفْ وتلالـــي
النفس خلاص اتســـدِّت والدنيـــا كمان اســـودِّت
إكمـــنّ القِيَـــم اتْهـــدِّت ما بقاش فيه حـــدّ مثالـــي

طب راحِت فين عزيمتهم … وانهارِت ليه قوّتْهم
ولا شايفين حريّتْهم … وحرام ده واللاّ حلالي
وادي الشبّان بالملايين … برّه الأوطان ومهاجرين
طب مين كان خرّجهم مين … ويسيبوا الوطن الغالي
بيخافوا الكلمه الحُرّه … لو واحد قالها ف مرّه
يُسْجَنْ ولا يطلع برّه … ما يشوفشي إلاّ ليالي
قدّامهم واحده من اتنين … يايقولوا على كلّه آمين
يايعيشوا في السجن سنين … زيّ الإنسان الآلي
لا يعارض ولا يتكلّم … ولا ييجي ف يوم يتظلّم
مهما يقاسي ويتألّم … ويعيش في حلم خيالي

والحكّام مش داريانه … بالجماهير الشقيانه
واللّي بيحصل جوّانا … واللاّ سوء الأحوالي
والسُّلْطَه ماسكين فيها … خايفين لَتْزُول لياليها
والظّالِمْ بيخلّيها … كرباج يِضْرَب لا يبالي
لو كِانوا ف يوم يفتكروا … أو يِوْعُوا لمّا بيقْروا
أو م الماضي بيعتبروا … كانوا قالوا الشعب أهالي
ولا تبقى حواجز بينهم … والشعب يدافع عنهم

ولا حدّش يغضـــب منهم ولا كان هاجـــر أمثـــالـــي

لو كـــان الظّـــلم بينفـــع كان غيرهم أشطر واجْـــدَع

ولا كانشِ حـــاكم يطـــلع م اللّي ف بالك وف بالـــي

اصحـــوا ياناس مرّه ودوقوا طعـــم الحـــريّـــه وفوقـــوا

واعطوا للشـــعب حـــقوقه راح يرفعكم فـــي العـــالي

شـــوفوا الناس في بلاد برّه عايشه في ســـعاده وحُـــرّه

ولا فيـــه قلقـــان بالمـــرّه وف أحســـن مركز مالـــي

والحـــاكم عارف نفســـه ممكن يـــوم حـــدّ ينافســـه

أو حِزب ف مرّه يعاكسه ويقـــول لـــه اطلع طوّالـــي

ومادام مِعْوَجّ ف ســـيرَك ماتسيب الكرســـي لغيـــرك

وفارقنـــا وكتّـــر خـــيرَك ماتقولش دي مِلْكي حـــلالِي

والشـــعب الحاكم بصحيح بيناضـــل ويصـــدّ الرِّيـــح

ولا يِرْضَى بغشّ وتســـفيح ولا حـــدّ يقول وانا مالـــي

والفـــرد هنـــاك لُه قِيـــمَه ولِصُـــوتُه قِيـــمَه عظيـــمه

واللّي خـــطواتـــه ســـليمه يحـــكم في العـــام التالـــي

ولا حـــاكم يِقْدَر يحـــمي مخـــتلس المـــال الرســـمي

دســـتور مش هزل وإسمي ولا عمّي فيه ولا خـــالـــي
والكلّ صـــغيّـــر وكبيـــر على حسب الدستور بيسِير
ولا فيش في انتخابات تزوير ولا تبديـــد فـــي الأموالـــي
عـــمرنا ماســـمعناش مرّه عن حـــاكم في بلاد حُـــرّه
هـــرّب أمـــواله لبـــرّه ويقول دي فلوسي حـــلالي
أما احـــنا من مصـــيبتنا حـــكّامنـــا مـــن غفلتـــنا
بتبـــدّد فـــي ثـــروتنـــا ولغايـــة الوقت الحـــالـــي

وادي نصيحه في ودانكم ياحُـــكّام منّي عشـــانكم
شـــوفوا مصالح أوطانكم قبـــل زمانكم ما يْـــوَلّي
دا الحـــاكم مهما يـــجدّد أو فـــي الأمـــوال بيبدِّد
حايودَّع يـــوم ما يخـــلّد والدنيـــا مآلْـــها زوالـــي
والسلطان اللي انتم فيـــه ليه يوم راح تخلص لياليـــه
في الآخره حاينوبكم إيه ؟! يوم الدّيـــن والأهوالـــي
لو تفتكروا مصير فرعون أو هتـــلر واللاّ نابليـــون
راحت فين أموال قارون ؟! ده الجيب في الأكفان خالي
آدي السّـــر يافنـــديّـــه لغـــز الأمّـــه العربيـــّـــه
هوّ غيـــاب الحـــريّـــــه وده نفسه جواب لسؤالي !!

زَيِّـــكْ يامصـــر

==========

زيّك يامصر ماشـــفناش — زيّ جـــمالك مابنلقاش

مهما نسافر واللاّ نزور — عن حبّك مابنســـتغناش

زيّك يامصر ماشفناش

مهما الدنيـــا تغرّبنـــا — شـــوقنا إليكي يدوّبنـــا

حـــبّنا ليكي يقرّبنـــا — وكأننـــا ماتغرّبْنـــــاش

زيّك يامصر ماشفناش

اللي بيشرب من نيلِك — يرجـــع تانـــي ويجيـــلك

يحلف بيكي ويدعيلِك — يفضل فاكرِك ولا ينساش

زيّك يامصر ماشفناش

يامصـــر ياغاليه علينـــا — شـــايليِنك جـــوّه عنينـــا

فضـــلك والله يخـــلّينـــا — علشـــاقك روحنا ماتغلاش

زيّك يامصر ماشفنـــاش — زيّ جمـــالك مابنـــلقاش

زيّ رجالك مابنلقاش — زيّ أصالتك مابنـــلقاش

زيّ شهامتك مابنلقاش — زيّ حضارتك مابنلقاش

زيّ مروءتك مابنلقاش — زيّ ضيافتك مابنلقاش

زيّ سماحتك مابنلقاش — زيّ طهارتك مابنلقاش

مهما نسافر واللاّ نزور — عن حبّك مابنستغناش

لو لم أكنْ عربيًا .. لودِدْتُ أن أكونَ كوريًّا !!

لقد كنتُ يومًا من الأيامِ عربيًا ، يومَ كان العربيُّ حرًّا وشجاعًا أبيًا .. وكنتُ أفخرُ بعروبتي ، وأعتزُّ بهويّتي .. يومَ كان للعربِ كرامةٌ .. ويومَ كانوا يرفعون الهامةَ .. يومَ كانوا يعرفون حقَّ الإخْوةِ على الإخْوة ، ويومَ كانت تُحرِّكُهم الشهامةُ والنخوةُ .. يومَ كانوا يرفضون الذّلّةَ والمهانةَ .. ولا يقبلون الظلمَ والاستكانةَ .. يومَ كانوا يدافعون عن الأشقّاءِ .. مهما كانت قوّةُ الأعداءِ .. يومَ كانوا يحمون بأرواحِهم الأرضَ والعِرْضَ والشرفَ .. ولا يُقْعِدُهم عن الجهادِ الجاهُ والسلطانُ والترفُ !!..

أما اليومَ .. وقد رأيتُ الغُطْرَةَ والعقالَ .. تُداسُ بالأقدامِ والنّعالِ .. ورأيتُ من يصفون أنفسَهم بالعربِ .. كمن أصيبوا بالخوفِ والجَرَبِ .. وأصبحوا أشباهًا للرجالِ .. ويدفنون رءوسَهم في الرمالِ .. ورغمَ شواربهم الكثيفةِ ولحاهم الطويلةِ فهم يحيضون .. وربما قريبًا يتمخّضون ويلدون .. ورأيتُهم في السّلمِ ينغمسون في العُهْرِ والفُجْرِ ، ووقتَ الحربِ يُصابون بالجبنِ والذّعرِ .. ورأيتُهم للأعداءِ يُصافحون ويُعانقون ، ولإخوانهم يتنكّرون ويخذلون .. ومنهم من خرسَ وصَمَتَ قسرًا ، وإذا نطقَ قال كُفْرًا ..فهذا أميرٌ متأمركٌ يعيشُ في واشنطن يُعلنُ أنه لا يثقُ فيمن يجاهدون في سبيلِ الله ، بحجةِ أن بعضَهم يتخذُ من ذلك ستارًا لأعمالٍ تخريبيةٍ .. وحتى بعض علماءِ

الإسلامِ العربِ راحوا يُصدْرِون الفتاوَى التي تتناقضُ مع العقيدةِ الإسلاميةِ البيِّنةِ التي لا تحتاجُ إلى اجتهاداتٍ .. فهذا وزيرُ الشئونِ الإسلاميةِ في بلدِ المقدساتِ الإسلاميةِ يُفتي بأنّ الدّعاءَ على اليهودِ لا يجوزُ ويُعْتَبَرُ اعتداءً عليهم ، رغم أنّ الدّعاءَ أصبح سلاحَنا الأوحدَ الذي تملكُه الشعوبُ العربيةُ المغلوبةُ على أمرِها .. ونسيَ هذا المفتي ما يفعلُه اليهودُ بنا وبإخواننا في فلسطينَ ، وكأنه لم يسمعْ عن دباباتِ اليهودِ التي تسيرُ فوقَ أجسادِ العزَّلِ الأبرياءِ ، والمقابرِ الجماعيةِ التي يدفنون فيها الأحياءَ .. وبعد ذلك يستكثرُ دعاءَنا على المعتدين !! والمصيبةُ أنه عالِمٌ إسلاميٌّ في بلدِ المقدساتِ الإسلاميةِ ، وليته عمل بالحكمةِ التي تقولُ : من قال لا أعرفُ فقد أفتى !!..

هل بعد ذلك تريدون أن أقولَ إنني عربيٌّ ؟!.. لا وألفُ لا .. ولو كان بيدي يومَ ميلادي ، لتمنيتُ أن أُولدَ بعيدًا عن العربِ ، ولأسرعتُ ولو حَبْوًا بالهَرَبِ .. ويكفيني أنني مصريٌّ .. وأُعلنُها مدويةً على الملأِ وبكلّ صدقٍ :

لو لم أكن عربيًّا لودِدْتُ أن أكونَ كوريًّا !!..

أنا معك ياريّس مبارك في كثيرٍ ، ولكن كنتُ أتمنّي !!

ياريّس مبارك .. أرجو أن تسمحَ لي بالتعبيرِ عن رأيي دون أن يضيقَ صدرُك بما أقولُه اليومَ ، فقد عوّدتنا على المصارحةِ والصدقِ في إبداءِ الرأيِ واحترامِ الرأيِ الآخرِ .. ولقد تجلّى ذلك تمامًا في عدمِ تعرّضِ كتابي السابقِ (صرخاتٌ في الهواءِ الملوّثِ) لأيِّ مصادرةٍ أو اعتراضٍ ، كما لم أتعرّضْ شخصيًا لأيِّ نقدٍ أو مضايقةٍ من أيّةِ جهةٍ من الجهاتِ ، بسببِ ما ذكرتُه في كتابي السابقِ من خطابٍ مفتوحٍ لسيادتِكم ، وذكرتُ فيه بعضَ الملاحظاتِ والتساؤلاتِ التي تُعْتَبَرُ نقدًا صريحًا وجريئًا .. ولقد أهديتُ نُسَخًا كثيرةً من ذلك الكتابِ إلى بعضِ الإخوةِ من المصريين والعربِ المغتربين في أمريكا وانجلترا وهولاندا ، الذين كانوا يعتقدون (بتأثيرٍ من الإعلامِ المضادِّ لمصرَ) أنّ الحكومةَ والقيادةَ المصريةَ لا تسمحُ بحريةِ إبداءِ الرأي ، وأنّها تصادرُ كلَّ ما يُخالفُ سياسةَ الحكومةِ والقيادةِ المصريةِ ، وأن كلَّ من يكتبُ منتقدًا السياسةَ أو القيادةَ المصريةَ يتعرّضُ للمضايقةِ من الجهاتِ الأمنيةِ وتُصادَرُ كتاباتُه ، واستطعتُ أن أُكذّبَ كلَّ هذه الشائعاتِ والأكاذيبِ التي كانت تتردّدُ على أسماعِهم ، وذلك بإهدائِهم تلك النسخِ من كتابي السابقِ ، حتى يتأكّدوا بعد قراءتِه من أن حريةَ إبداءِ الرأيِ مكفولةٌ تمامًا في مصرَ مهما كان فيها من نقدٍ بنّاءٍ ، مادام بعيدًا عن إثارةِ الفتنِ التي تضرُّ بأمنِ واستقرارِ

المجتمعِ والوطنِ . والحمدُ لله فقد اطمأنوا إلى أن مصرَ مازالت بخيرٍ ، وأنّ الكتّابَ فيها يُعبِّرون عن آرائهم بكلِّ حريةٍ وأمانٍ .

ولمزيدٍ من التأكيدِ على كفالةِ حريةِ التعبيرِ والنقدِ البنّاءِ في بلدنا مصرَ ، فإني سأدخلُ في موضوعِ هذا المقالِ الذي جعلتُ عنوانَه (أنا معك ياريّس مبارك في كثيرٍ ولكن كنتُ أتمنّى ..!!) .

أعتقدُ أن الشعبَ المصريَّ كلَّه يشاركُني الرأيَ عندما أقولُ بأنني معك في كلِّ مواقفِك المبدئيةِ المشرِّفةِ من الأزمةِ الفلسطينيةِ التي بذلتَ من أجلِها أقصى الجهودِ للدفاعِ عن الشعبِ الفلسطينيِّ والقيادةِ الفلسطينيةِ ، وأيضًا للدفاعِ عن شعبِ العراقِ ، ومحاولةِ إبعادِ شبحِ الحربِ عن العراقِ الشقيقِ .. سواءً عند الاعتداءِ على الكويت ، أو عند التهديدِ بضربِ العراقِ في المرَّةِ الأولى ، أو في المرَّةِ الثانيةِ التي أدَّتْ إلى احتلالِ العراقِ .. ونحن معك ونؤيِّدُ كلَّ الجهودِ المضنيةَ التي تبذلُها بهدفِ لمِّ شملِ الأمّةِ العربيةِ وجمعِ كلمةِ القادةِ العربِ في هذه الفترةِ العصيبةِ من تاريخنا ، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ . وهذا يُوضِّحُ بجلاءٍ الأصالةَ المصريةَ والنخوةَ العربيةَ والحكمةَ والسياسةَ العقلانيةَ ، البعيدةَ عن العنجهيةِ والعنتريةِ الجوفاءِ التي لا تُؤدّي إلاّ إلى مزيدٍ من الخرابِ والدمارِ والتخلّفِ الاقتصاديِّ الذي مازلنا نعاني منه حتى اليومِ ، كما تُوضِّحُ هذه المواقفُ ، الثباتَ على الرأيِ في مساندةِ الحقِّ والعدلِ والسلامِ ، وتُظْهِرُ الحرصَ على مصالحِ الوطنِ المصريِّ والعربيِّ .

لقد طالب زعماءُ روسيا وألمانيا وفرنسا بوقفِ الحربِ على العراقِ ، ولم يوجِّهوا أيَّ لومٍ إلى العراقِ عن مسئوليةِ هذه الحربِ ، مع إدراكِهم لمسئوليةِ العراقِ عن ذلك ، ولكنهم يعملون بمنطقِ (لكلِّ مقامٍ مقالٌ) !!

وكنتُ أتمنَّى أن تقتديَ حكومتُنا المصريةُ بهذه السياسةِ المتعقلةِ والموضوعيةِ التي تنتهجُها سيادتُك والتي تتعاملُ بها مع الأحداثِ ، حتى تتطابقَ سياسةُ الحكومةِ مع سياسةِ سيادتك التي تتميَّزُ ببعدِ النظرِ !!

وكنتُ أتمنّى أن تسمحَ الحكومةُ بشكلٍ أو بآخرَ بفتحِ بابِ الجهادِ لمن يشاءُ من شعبِ مصرَ لمشاركةِ أشقّائهم في العراقِ الدفاعَ عن وطنِهم وعِرْضِهم .. وكنتُ أتمنّى ألاّ تمنعَ الحكومةُ سفرَ المتطوّعين للدفاعِ عن العراقِ ، وكنتُ أتمنَّى أن يُفتِيَ المسئولون في الأزهرِ علنًا وفورَ بدايةِ الحربِ ، بضرورةِ فتحِ بابِ الجهادِ ، وحثِّ جميعِ المسلمين في بقاعِ الأرضِ على المشاركةِ في الدفاعِ عن العراقِ ، باعتبارِه جهادًا مقدَّسًا ، لأنّ منطقَ الشريعةِ الإسلاميةِ يقولُ إنه إذا نزل العدوُّ في أرضِ المسلمين يُصبِحُ الجهادُ فرضَ عَيْنٍ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ ، ولأنّ أمّتَنا الآن أمامَ غزوةٍ صليبيةٍ جديدةٍ ، أو تختبئُ كذبًا وراءَ الصليبِ ، والصليبُ والمسيحيةُ منهم براءٌ ، وتستهدفُ هذه الغزوةُ الأرضَ والعِرْضَ والشرفَ والعقيدةَ والوطنَ !!..

وأسألُ أصحابَ العمائمِ والقفاطينِ والعباءاتِ ، الذين يسكنون القصورَ ويركبون أفخمَ السياراتِ ، في كلِّ بلادِ العربِ : ألم تقرأوا يومًا أو تقعْ أعينُكم على أقوالِ الرسولِ الكريمِ (المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه

بعضًا) أو (مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالحمّى والسهرِ) ؟؟!!..

رحم اللهُ عمرَ ابنَ الخطابِ الذي لم يسكن القصورَ بل كان ينامُ تحت ظلّ الأشجارِ ، ولم يكنْ يركبُ المرسيدسَ بل كان يركبُ الحمارَ ، ولكنه لم يتقاعسْ عن الدعوةِ للجهادِ ، ولم يكنْ موقفُه مثلَ موقفِ علماءِ المرسيدسِ والقصورِ ، في هذه الحقبةِ المظلمةِ من أسوأ الأزمنةِ والعصورِ !!..

ولقد جانب الحكومةَ المصريةَ التوفيقُ ، في اختيارِ توقيتِ بدءِ الحربِ على العراقِ الشقيقِ ، بإرسالها وفدًا اقتصاديًا إلى واشنطن لمطالبةِ الولاياتِ المتحدةِ بأربعِ ملياراتٍ من الدولاراتِ تعويضًا عن الأضرارِ التي ستتعرّضُ لها مصرُ من جرّاءِ الحربِ على العراقِ .. لقد عرفتُ هذا الخبرَ عندما كنتُ أتابعُ أحداثَ الحربِ على العراقِ ، حيثُ كنتُ وقتها في لوس أنجلوس بكاليفورنيا ، والأسى يعصرُ قلبيَ وقلوبَ جميعِ المصريين والعربِ والمسلمين ، وحتى الشرفاءِ من الأمريكيين من السياسيين والفنانين وسائرِ المواطنين ، الذين كانوا ينظّمون المظاهراتِ المناهضةَ للحربِ ويتعرّضون لبطشِ قواتِ الأمنِ بالضربِ والاعتقالِ ، حتى أن بعضَ الشخصياتِ المرموقةِ كانت تتهمُ الرئيسَ " بوش " بالجنونِ والنازيةِ ويطالبون بطردِه من البيتِ الأبيضِ ، ورأيتُ مطربةً أمريكيةً تقولُ إنها تخجلُ لأن "بوش" من بلدِها تكساس .. وكنتُ أسمعُ تعليقاتٍ من جنسياتٍ مختلفةٍ على موقفِ الحكومةِ المصريةِ لطلبِ هذه المليارات في هذا التوقيتِ بالذاتِ .. وكان منهم من يقولُ : ألا يُفسَّرُ هذا على أنه مطالبةٌ بالثمنِ على السكوتِ على أمرٍ مُريبٍ ؟!.. لماذا تفتحُ

الحكومةُ المصريةُ البابَ للمغرضين ومروّجي الإشاعاتِ وإعطائهم الفرصةَ لتشويهِ صورةِ مصرَ في هذا التوقيتِ الحرجِ ؟!.. لقد كان هذا الموقفُ الحكوميُّ المصريُّ بعيدًا تمامًا عن الحكمةِ والفطنةِ السياسيةِ !!

كنتُ أتمنّى أن تفكّرَ حكومتُنا وبجدّية ، في كيفيةِ الاستغناء عن المعوناتِ الأجنبيةِ !!.. إنني أتساءلُ .. إلى متى سنظلُّ نعتمدُ على هذه المعوناتِ الأمريكية ، التي يُلَوِّحُ بعضُ أعضاءِ الكونجرسِ الأمريكيِّ وينادي بقطعها ، كما تحرّضُ الجالياتُ اليهوديةُ الإدارةَ الأمريكيةَ بينَ الحينِ والآخرَ لقطعِ هذه المعوناتِ .. لقد سئمنا هذه المعوناتِ وما يترتبُ عليها ، وإنني شخصيًا أتمنّى من كلِّ قلبي أن تقطعَ أمريكا عنّا هذه المعوناتِ إلى الأبدِ ، حتى نضطرَّ اضطرارًا إلى تصحيحِ وضعِنا الاقتصاديِّ ، بالاعتمادِ على أنفسنا ، بعيدًا عن الاعتمادِ على هذه المعوناتِ التي صدَّعوا رءوسَنا بها .. ويجبُ على حكومتِنا أن تضعَ في اعتبارِها ضرورةَ الاستغناء عن هذه المعوناتِ ، والتخطيطِ لذلك في أقربِ وقتٍ قبلَ أن نُفاجأَ بقطعِها في الوقتِ الذي نعتمدُ عليها في بعضِ خططِنا الاقتصاديةِ .. وأشرفُ لنا أن نبادرَ نحن بالاستغناء عن هذه المعوناتِ حتى ولو أدّى الأمرُ إلى أن نأكلَ وجبةً واحدةً في اليومِ .. وأقولُ إنَّ الشدائدَ أثبتت أنّ الشعبَ المصريَّ يستطيعُ أن يُؤقلمَ نفسَه عند الأحداثِ والملمّاتِ .. ولو خاطبت الحكومةُ شعبَ مصرَ لتحمّلِ هذه المسئولية ، لوجدَتْه عند حُسْنِ الظنِّ .. كما أناشدُ الشرفاءَ من رجالِ الأعمالِ المصريين أن يتكاتفوا ، وأن يتعاونوا مع الحكومةِ لتحقيقِ الاستغناءِ عن المعوناتِ

الأمريكيةِ ، حتى نحافظَ على كرامتنا واستقلالنا دون أن نمُدَّ أيدينا لأحدٍ ، سواءً للاستدانةِ أو طلبًا للمعونةِ .. وبهذا فقط نحققُ الصورةَ الحقيقيةَ للحريةِ والاستقلالِ لوطننا ، ونكونُ حينئذٍ بكلِّ جدارةٍ أصحابَ قرارنا .. ومن يملكُ قوتَه يملكُ حريتَه ، ومن يملكُ حريتَه لا يحني لأحدٍ هامتَه !!..

وأقولُ للجميعِ : إنّ سقوطَ بغدادٍ لا يُشكّلُ النهايةَ ، بل إنه يرسمُ البدايةَ لتحقيقِ أهدافِ المعتدين ، وبَعْثِ روحِ الجهادِ المقدّسِ في صدورِ المؤمنين المجاهدين !!..

وبعد أن أبديتُ وجهةَ نظري بكلّ صدقٍ في مواقفِ الحكومةِ المصريةِ والأزهرِ ومواقفِ الرئيسِ مبارك ، أرجو أن يتوخّى الجميعُ الحكمةَ والتروّيَ قبل إبداءِ الآراءِ وإعلانِ البياناتِ ، حتى لا يُسيءَ الآخرون فهمَنا .. خاصةً وقد تعوّدنا الحكمةَ والفطنةَ السياسيةَ من الرئيسِ مبارك في أحلكِ المواقفِ ..

ولعلّي بهذا المقالِ أؤكّدُ مرّةً أخرى للمتشكّكين في حريةِ التعبيرِ في مصرَ ، أن حريةَ الرأيِ مكفولةٌ ومصونةٌ مادامت للبناءِ والتعميرِ ، وليست للهدمِ والتدميرِ !!.. وهأنذا قد قلتُ للرئيسِ مبارك بكلّ صدقٍ وشجاعةٍ ، ودون خوفٍ من مصادرةٍ أو مراجعةٍ :

أنا معك ياريّس مبارك في كثيرٍ ، ولكن كنتُ أتمنّى !!..

كما أَسْقَطَ "جورباتشوفُ " القطبَ السوفييتيَّ أَسْقَطَ "بوش" القطبَ الأمريكيَّ

ما أحكمَك وما أعدلَك وما أصدقَ قولِك **يا اللهُ !!**

فقد قلتَ وقولُك الحقُّ والصّدقُ [وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى] "٦١ طه" وقلتَ أيضًا : [وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد]"١٥ إبراهيم" وقلتَ ياربَّنا في كتابِك الكريمِ : [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً]" ١٢٢ النساء". ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعقلون ولا يتذكّرون !!..

لو تأملنا وعيدَ اللهِ تعالى لكلِّ من افترى ولكلِّ جبّارٍ عنيدٍ ، ولو قلّبنا صفحاتِ التاريخِ ، لوجدنا أن وعيدَ اللهِ تعالى قد تحقق بوقوعِ الخيبةِ والفشلِ لكلِّ من افترى ، سواءً من الحكّامِ الطغاةِ أو من الإمبراطورياتِ الظالمة .. ولنتذكّرْ بعضَ الطغاةِ من المفترين والجبّارين على مدى التاريخِ ، من أمثالِ فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، وأبرهةَ وبسمارك ونيرون ، وهتلر وهولاكو ونابليون ، ولنتذكّرْ أيضًا الإمبراطورياتِ الظالمةَ المتجبِّرةَ ، التي استغلّتْ قوّتَها ضدَّ الدولِ والشعوبِ الصغيرةِ والضعيفةِ ،كالإمبراطورياتِ الفارسيةِ والرومانيةِ والعثمانيةِ والتتاريةِ والبريطانيةِ والسوفييتيةِ .. ولنتذكّرْ كيف كان مصيرُ كلِّ هؤلاءِ المفترين والجبّارين .. ولْنَقُلْ : صدق اللهُ العظيمُ !!

كان فرعونُ يقولُ : أنا ربُّكم الأعلى ، فابتلعه البحرُ وأنجى اللهُ بدنَه ليكونَ آيةً للناسِ من بعده .. وقال هتلرُ : ألمانيا فوق الجميعِ ، فاختفى ولم يُعْثَرْ له على قبرٍ ، وسقطتْ ألمانيا وتمزّقتْ وحدتُها وانقسمتْ ولم تتوحّدْ إلاّ بعد حينٍ .. وقال أبرهةُ : سأهدمُ الكعبةَ ولن يمنعَني منها أحدٌ .. ولم تتصدَّ له قواتٌ ولا جيوشٌ ، ولكن أرسل اللهُ تعالى عليهم طيرًا أبابيلَ ترميهم بحجارةٍ من سجّيلٍ فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ .. وقال هولاكو : سندمّرُ كلَّ من يقفُ في طريقنا ، وراح يقتلُ ويحرقُ ويدمّرُ كلَّ المدنِ التي يدخلُها حتى اقترب من مصرَ وهدّد شعبَها وحكّامَها ، فأوقفت الجيوشُ المصريةُ زحفَه وكسرتْ شوكتَه وأحنتْ هامتَه وأفنتْ دولتَه .. وأطلقتْ انجلترا على نفسِها لقبَ بريطانيا العظمى ، والإمبراطوريةَ التي لا تغربُ عنا الشمسُ ، فانكسرتْ وتحوّلتْ إلى دولةٍ من الدرجةِ الثانيةِ ، وانزوتْ عنها الشمسُ ولم تَعُدْ تراها حتى في بلادِها إلاّ قليلاً ، وتحوّل قادتُها اليومَ إلى أغنامٍ ذليلةٍ يجرُّها الأقوياءُ المتجبّرون في هذا العصرِ .. وكما اتّسع نفوذُ الاتحادِ السوفييتيِّ الذي نشر الرُّعبَ في دولِ أوروبا وأمريكا ، ولعلّنا نذكرُ " خروشوفَ " الذي كان يضعُ حذاءَه على المنضدةِ مستهزئًا بكلِّ أعداءِ الاتحادِ السوفييتيِّ .. وكان يكبحُ جماحَ الجوادِ الأمريكيِّ ويُلجّمُه ويُحدُّ من جبروتِه وافترائِه الذي لم يظهرْ على حقيقته ، إلاّ بعد انْهيار الاتحادِ السوفييتيِّ !!..

ونرى من التاريخِ أنّ تلك الإمبراطورياتِ عندما تزدادُ في طغيانِها وجبروتِها ، يُسلّطُ اللهُ تعالى عليها من أبنائها وحكّامِها من يُسْقِطُها ويحفرُ قبرَها .. فالذي أسقط الاتحادَ السوفييتيَّ هو " جورباتشوفُ " الذي أراد أن

يحوّلَ بلادَه إلى النظامِ الرأسماليّ ، وسار على نَهجه " يلْتسين " فتمزّق الاتحادُ السوفييتيُّ وتفتت إلى دولٍ متعدّدةٍ ، وضعفتْ قوّتُه ، ولم يَعُدْ يُخيفُ أحدًا من معسكرِ أعدائه السابقين .. مما أعطى الفرصةَ للجوادِ الأمريكيِّ الذي كان مقيّدًا وملجّمًا بالقوةِ السوفييتيةِ المعاديةِ ، ومنحه الضوءَ الأخضرَ ، حتى استطاع الرئيسُ الماكرُ " بوشُ الأبُ " أن يقولَ : إنّ القرنَ الحاديَ والعشرين هو قرنُ الولاياتِ المتحدةِ .. وهو نفسُ السببِ الذي جعل " بوشَ الإبنَ " يقولُ للعالَمِ : من ليس معنا فهو علينا .. ولم يَعُدْ يكترثُ بالأممِ المتحدةِ التي أصبحتْ لعبةً في يده ، ولا يعترفُ بالشرعيةِ الدوليةِ التي كانوا يتشدّقون بها لإخضاعِ من يريدون إخضاعَه لنفوذهم .. وأصبحتْ الولاياتُ المتحدةُ الآن القطبَ الأوحدَ في العالَمِ ، والقوةَ التي تُملي إرادتَها على المجتمعِ الدوليّ .. وبدأتْ تحققُ حلمَها بالهيمنةِ على العالَمِ ووضعِ يدِها على ثرواتِ العالمِ ورعايةِ مصالحِها ، حتى ولو كان على حسابِ مصالحِ الآخرين .. واخترعتْ ما أسمتْه بمحاربةِ الإرهابِ وحجّةَ تحريرِ الشعوبِ المحرومةِ من الديمقراطيةِ وإسقاطِ النظمِ الدكتاتوريةِ ، في الوقتِ الذي تحمي هي بعضَ النظمِ الدكتاتوريةِ الموالية لها .. وراحت تضربُ أفغانستانَ وتغزوه وتحوّلُه من بلدٍ مستقلٍ إلى بلدٍ محتلّ .. وشنّتْ حربًا ظالمةً شرسةً وغيرَ متكافئةٍ على شعبِ العراقِ مستغلّةً قوتَها الأقوى وعدمَ وجودِ قوةٍ أخرى تردعُها .. وهدفُها واضحٌ تمامًا للجميعِ وهو السيطرةُ على بترولِ العراقِ ودولِ الخليجِ .. ولم يكترثْ " بوشُ " لاحتجاجاتِ شعوبِ العالَمِ ولا حكوماته برفضِ الحربِ على العراقِ .. ولكن منذ متى كان القويُّ المتجبِّرُ يهتمُّ بصيحاتِ الضعفاءِ أو

الجبناءِ ؟!..ورغم الانتصارِ العسكريِّ للمعتدين وسقوطِ بغدادَ في أيديهم ، فإنّ "بوش" قد خسرَ الكثيرَ لأنه لم يُقدِّرْ حجمَ الكراهيةِ العالميةِ التي زرعها بنفسه لنفسه ولبلده وشعبه .. وفي خضَمِّ جبروتِه وكِبْرِه وغرورِه ، لم يَدْرِ أنه يحفرُ بيده القبرَ لبلده ، الذي كان إلى القمةِ قد ارتفع ، والذي آن الأوانُ لأن يسقطَ ويقعَ !!..

ويقولُ اللهُ تعالى:[وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا]"١٦ الإسراء" كما يقولُ : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيها الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ] !!.." ٦-١٣الفجر" وما من دولةٍ طغتْ وافترتْ وتجبَّرتْ ، إلاّ سقطتْ وتدهورتْ ، وهذه هي سُنّةُ اللهِ تعالى في كونه وخلْقه [وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً]"٦٢ الأحزاب" [وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً] !!.."٤٣ فاطر" أما هؤلاء الطغاةُ والمتجبِّرون فينطبقُ عليهم قولُ اللهِ تعالى : [وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ] "٢ الحشر" ويحفرون بأيديهم قبورَهم كما يحفرون القبورَ لبلادهم ، وإن كان " جورباتشوفُ " قد حفر قبرَ الاتحادِ السوفييتيِّ ، فإنّ " بوش " قد حفرَ قبرَ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ .. وإنّ غدًا لناظرِه لقريبٌ !!..

إلى الرجلِ الأمينِ عمرو موسى
أمينِ الجامعةِ العربيةِ

أولاً ، باسمِ الملايينِ من أبناءِ مصرَ والشرفاءِ من بلادِ العربِ ، أحيِّيك وأُحيِّي فيك الأصالةَ العريقةَ المصريةَ ، والنخوةَ والشهامةَ العربيةَ .. وفي نفسِ الوقتِ ، أُشْفِقُ عليك ، لما تحملُه من مسئوليةٍ وهمومٍ كالجبالِ ، تُثبِّطُ عزائمَ أقوى الرجالِ .. فقد تحمّلتَ المسئوليةَ ، في زمنٍ تاهتْ فيه الهويّةُ .. فلا تستطيعُ أن تعرفَ للحكّامِ حولك من شخصيةٍ .. ولا تُدْرِكُ حقيقةَ جنسياتِهم ، إن كانت عربيةً أو أمريكيةً أو صهيونيةً !!.. ولم تَعُدْ ترى حولك إلاّ قطيعًا من الأقزامِ والأغنامِ ، يجرُّهم الأعداءُ من رقابِهم المربوطةِ في اللّجامِ !!

وكان اللهُ في عونك !! فقد بذلتَ غايةَ جَهدِك لإصلاحِ ذاتِ البَيْنِ ، ولَمِّ شملِ الأسرةِ ، فلم يُعْجِبْ ذلك بعضَ أصحابِ العقالِ والغُطْرَةِ .. الذين انتفخوا بأوهامِهم وأموالِهم ، التي لم يكدُّوا أو يتعبوا فيها ، ولم يعرفوا الحضارةَ أو معانيها .. ويتفاخرون بالكِبْرِ والزَّهوِ ، وهم ينغمسون في السُّكْرِ واللهوِ .. ويتظاهرون بالعَمْلَقَةِ ، ونسوا أنّهم في الحقيقةِ أقزامٌ ! لا يملكون وقتَ الشدَّةِ إلاّ الكلامَ !!

إنه لا يُشرِّفُك أن تكونَ أمينًا لمنظّمةٍ تضمُّ قادةً من خيالاتِ (المآتة) الذين تعاونوا مع المعتدين وخذلوا المجاهدين ، حتى سقطتْ بغدادُ عاصمةُ الرشيدِ في أيدي الكلابِ والذئابِ ، وراحوا يرقصون وهم يحملون أعلامَ الغاصبين ، فرِحين مهلّلين .. وهم لا يدرون أنّها البدايةُ لتهاوي أنظمتِهم الدكتاتوريةِ ، وسقوطِ عروشِهم الاستبداديةِ ، وأنّ لهم مع شعوبِهم حسابًا قريبًا ، كما أنّ لهم مع اليهودِ القادمين وأعوانِهم ، موعدًا ليس منهم ببعيدٍ !!

إنني أحسدُك على صبرِك ، وأُشفقُ عليك لطولِ حِلْمِك وضياعِ أمَلِك .. وقد لا تكونُ مثلي متشائمًا ، أو متبرِّمًا ومتألّمًا .. وقد يفوقُ صبرُك صبرَ أيّوب ، وعشمُك في العاصي أو الجبانِ الخائنِ أن يتوبَ ، وسبحانَ علاّمِ الغيوبِ !!

ونصيحتي أهديها إليك ، بأن تنفضَ كلتا يديك .. من كلِّ ماتراه من سرابٍ أمامَ عينيك ، فمهما اجتهدتَ وفعلتَ ، ومهما قلتَ وصرختَ ، فلن تجدَ إلاّ آذانًا من طينٍ مخلوطٍ بالعجينِ !!.. فدَعْ تلك الجامعةَ المفرِّقةَ لتنهارَ على رءوسِ من فيها ، كما انْهارتْ بالفعلِ هيئةُ الأممِ التي لم تَعُدْ متحدةً !!..

أما أنا ، بعد حماسي وبأسي ، واشتدادِ حزني ويأسي ، ولخيبةِ أملي وشدّةِ خجلي ، فاسمحوا لي بتقديمِ استقالتي النهائيةِ ، وبراءتي الأبديةِ ، وتنازلي عن الجنسيةِ العربيةِ !!

قُنْصُلِيَّتُنَا في سَانْ فَرَانْسِيسْكُو
لِخِدْمَةِ الْمُغْتَرِبِينَ ، أَمْ هِيَ صَالَةٌ لِلدِيسْكُو ؟!

لقد أُنْشِئَتْ السفاراتُ والقنصلياتُ في خارجِ أوطانها ، لخدمةِ المغتربين من أبناءِ بلدِها .. هذا مانعلمُه بديهيًا ، وما نفهمُه منطقيًا .. ولكن يبدو أنّ ما نعرفُه منطقيًا ، يختلفُ كثيرًا عما يحدثُ واقعيًا !!

وقد لمستُ بنفسي العديدَ من السلوكياتِ الغريبةِ ، والتصرفاتِ العجيبةِ ، من موظّفي السفاراتِ والقنصلياتِ ، ما يُضيّقُ الصدورَ ويُزيدُ النفورَ .. مما جعل الكثيرين من المصريين المغتربين يُحجمون عن التعاملِ مع هذه السفاراتِ والقنصلياتِ ، حِفاظًا على وقتِهم وحِمايةً لأموالِهم !!..

وسأذكرُ مثالاً واحدًا من آلافِ الأمثلةِ التي تدلُّ على العشوائيةِ وربما المحسوبيةِ ، التي يُختَارُ بها هؤلاء العاملون في السفاراتِ والقنصلياتِ !!

حدث لأحدِ أنجالي ، الذي يعملُ في لوس أنجلوس بولايةِ كاليفورنيا الأمريكيةِ ، أن انتهتْ مدةُ صلاحيةِ جوازِ سفرِه المصريِّ ، فاتصل بي في القاهرةِ في شهرِ فبراير ٢٠٠٣ ، لمحاولةِ استخراجِ جوازِ سفرٍ جديدٍ على وجهِ السرعةِ ، لأنّ هناك تعليماتٍ بضرورةِ تسجيلِ المصريين لأنفسِهم في

إدارةِ الهجرةِ خلالَ موعدٍ أقصاه الرابعُ والعشرون من مارسٍ .. فاتصلتُ بإدارةِ الجوازاتِ في القاهرةِ ، وعلمتُ أنّ التعليماتِ تقضي بضرورةِ استخراجِ الجوازاتِ للمغتربين عن طريقِ السفاراتِ والقنصلياتِ .. ولما كان الوقتُ ضيِّقًا ، والإجراءاتُ عن طريقِ القنصلياتِ قد تستغرقُ شهرين ، إن لم يكنْ ثلاثةً ، فقد اضطُررتُ لطلبِ المساعدةِ من الرجلِ الكريمِ ، وصاحبِ الخُلُقِ العظيمِ ، الأستاذِ الدكتورِ مصطفى كمال حلمي ، رئيسِ مجلسِ الشورَى ونقيبِ المعلّمين ، بما له من مكانةٍ رفيعةٍ ولما يتمتّعُ به من حبٍّ واحترامِ الجميعِ .. فاتصل سيادتُه على الفورِ بالسيّدِ اللواءِ حبيب العادلي وزيرِ الداخليةِ ، الذي أبدى تفهّمًا وكرَمًا بالغًا ، فأصدرَ أمرًا عاجلاً لإدارةِ الجوازاتِ بالموافقةِ على استخراجِ جوازِ السفرِ في أسرعِ وقتٍ .. وفي إدارةِ الجوازاتِ بمجمّعِ التحريرِ ، وجدتُ اهتمامًا واضحًا من المسئولين الذين طمأنوني وأخبروني بأنّ الإدارةَ أرسلَتْ موافقتَها عن طريقِ الفاكسِ إلى القنصليةِ المصريةِ بسان فرانسيسكو لسرعةِ استخراجِ الجوازِ الجديدِ .. وما على نجلي إلاّ الاتصالُ بالقنصليةِ لإتمامِ الإجراءاتِ .. واتصلتُ بنجلي الذي اتصل بدوره تليفونيًا بالقنصليةِ ، فوجد ردَّ فعلٍ سريعٍ ، وأبلغوه بوصولِ الموافقةِ بالفاكسِ من القاهرةِ ، وطلبوا منه إرسالَ شيكٍ بالرسومِ والصورِ وبعضِ الأوراقِ ، فأرسل إليهم ما طلبوه .. وبعد أيامٍ اتصلوا به وطلبوا منه تغييرَ أسلوبِ الطلبِ الذي قدّمَه ففعل .. وبعد أيامٍ أخرى أرسلوا إليه يطلبون بيانَ طبيعةِ عمله بلوس أنجلوس ، فأخبرهم بأنه يعملُ مديرًا ماليًا لإحدى شركاتِ السياراتِ **Finance Manager** ، فعادوا يسألونه

بعد عدةِ أيامٍ عن معنى **Finance Manager** ، ودار بينه وبينهم جدلٌ في ذلك .. وبعد أيامٍ طلبوا منه شهادةً من الشركةِ بوظيفته ، وأرسلت الشركةُ البيانَ المطلوبَ (وطبعًا باللغةِ الإنجليزيةِ) .. وبعد أيامٍ طلبت القنصليةُ بيانَ الوظيفةِ باللغةِ العربيةِ .. وكنتُ قد سافرتُ بنفسي لأطمئنَّ على إتمامِ الإجراءاتِ ، ففوجئتُ بهذه التصرفاتِ الروتينيةِ العقيمةِ التي تُضيّعُ الوقتَ بلا مبرِّرٍ معقولٍ ، وحاولتُ أن اتصلَ بالمسئولين في القنصليةِ لأعترضَ على البطءِ الشديدِ ، الذي لا يتناسبُ مع الظروفِ الراهنةِ .. ولكنّ نجلي توسّل إليّ ألاّ أتدخّلَ حتى لا يُعقّدوا الأمورَ أكثرَ .. وكان من فضلِ الله أن صدر قرارٌ بمدِّ الفترةِ الممنوحةِ للمصريين لتسجيلِ أنفسِهم حتى الخامسِ والعشرين من شهرِ أبريلَ .. وكثُرتْ المجادلاتُ والاستفساراتُ الغيرُ مسئولةِ من موظّفي القنصليةِ ، ولم يصلْ الجوازُ الجديدُ إلاّ يومَ السابعِ عشرَ من شهرِ أبريلَ ، أي قبلَ انتهاءِ المهلةِ الممنوحةِ للتسجيلِ بأسبوعٍ واحدٍ فقط !!

ولا أدري كيف يُفكّرُ هؤلاء الناسُ .. ولكني لا ألومُهم ، بل ألومُ الذين اختاروهم وأرسلوهم ، باعتبارِهم قد أساءوا الاختيارَ .. فالموظفون في هذه الأماكنِ يجبُ أن يُختَارُوا بدقةٍ ، وبمعيارِ مدى وطنيّتِهم وعُلُوِّ همَّتِهم وصلاحيتِهم وحرصِهم على خدمةِ إخوانِهم المغتربين !!

ووجدتُ نفسي أتساءلُ : ما العملُ الحقيقيُّ للعاملين في قنصليةِ سان فرانسيسكو ، هل هو خدمةُ المصريين المغتربين ، أم أنّهم في صالةٍ للديسكو؟!

سَامِحْنَا يا عِرَاقُ .. وَسَامِحِينَا يَا فِلِسْطِينُ !!

كم بَكَتْ عيناي وكم ذَرَفَتْ من الدموعِ رغمَ إرادتي ، عندما شاهدتُ في إحدى المظاهراتِ الخجولةِ في عاصمةِ الأردنِ ، سيّدةً عربيةً تبكي بشدّةٍ ، وهي تحملُ ورقةً بيضاءَ كتَبَتْ عليها عبارةَ (سامِحْنا ياعِرَاقُ) !!

هاتان الكلمتان هما أبلغُ من كلّ ما تقولُه المقالاتُ ، ومن كلّ ما تعرِضُه التليفزيوناتُ العربيةُ ، وأقوى من جميعِ تصريحاتِ وبياناتِ الحكّامِ العربِ والحكوماتِ العربيةِ !!..

ولابدّ أن نعترفَ ، حكّامًا ومحكومين ، بأننا خذلنا العراقَ ، هذا البلدَ العربيَّ الأصيلَ ، كما خذلنا شعبَه المعطاءَ الصبورَ ، وتركناه يُذْبَحُ أمامَ أعيننا بالقنابلِ الأمريكيةِ والبريطانيةِ ، حتى سقط العراقُ الجريحُ .. ونحن نتفرَّجُ ونُمَصْمِصُ الشّفاهَ !!.

القاذفاتُ العملاقةُ تقذفُ عاصمةَ الرشيدِ بالقنابلِ الأضخمِ حجمًا ودمارًا في التاريخِ .. والزعماءُ العربُ يستمتعون بإجازاتٍ هادئةٍ مريحةٍ في قصورِهم ، أو على شواطئِ البحرِ .. وبعضُهم يُجهِّزون الفيلاّتِ

الفخمةَ للحكّامِ الأمريكيين الجدُدَ ، الذين سيتولّون السلطةَ في بغداد بعد سقوطِها !!..

كانت هناك نساءٌ يقُمْنَ بعملياتٍ استشهاديةٍ في العراقِ وفلسطينَ ، ونظيراتُهنّ يرقصن ويغنّين في التليفزيونات المسَمَّاة بالعربيةِ .. يالَلخجلِ ويالَلعارِ ، ويالَصفحاتِ التاريخِ الموشَّحَةِ بالسَّوادِ والطّينِ !!..

تصريحاتُ الحكّامِ العربِ تنحصرُ في إلقاءِ اللومِ على الرئيسِ العراقيِّ ، وفي مناشدته لكي يتنحَّى عن الحكمِ .. وتناسَوْا أنّ الأمريكيين أعلنوا أنّهم سيدخلون العراقِ سواءً تنحَّى صدّامُ عن الحكمِ أم لم يتنحَّ !!.. هذا ما تمخّضَ عنه الجبلُ العربيُّ المفتَّتُ فولدَ ذبابةً ، لعلّها تناطحُ الفيلَ !!..

بينما نجدُ رجلاً شجاعًا وذا ضميرٍ حيٍّ (لأنه ليس عربيًا) ، هو وزيرُ العدلِ الأمريكيُّ السابقُ (رامزي كلارك) يُطالبُ بمحاكمةِ " بوش " كمجرمِ حربٍ ، لاستخدامه اليورانيومَ المَنَضَّبَ في الحربِ على العراقِ ، ونقلتْ وكالةُ " إنتر فاكس " عن كلارك أثناءَ الحربِ على العراقِ قولَه : إنّ الحربَ التي تُشَنُّ حاليًا على العراقِ جريمةٌ كبرى ، وما يجري في العراقِ الآن هو عدوانٌ حسَبَ ما نصَّتْ عليه المادةُ الأولى من ميثاقِ " نورنمبرج " باعتبارِ أنّ هذه الحربَ تدمّرُ الحياةَ البشريةَ والبنيةَ التحتيةَ الضروريةَ لحياة الناسِ .. وأكّد " كلاركُ " أنّ الجيشَ الأمريكيَّ يستخدمُ في هذه الحربِ أسلحةً مُحَرَّمةً وقنابلَ عنقوديةً ويورانيومَ مُنَضَّبَ

وصواريخَ وأسلحةً أخرى من المحرَّمةِ دوليًا ، وأضاف " كلاركُ " إنّ كلّ ذلك يُعتبَرُ جريمةً ، ويستوجبُ محاكمةَ " بوش " ومن يُساعدُه في هذه الحربِ ، كما سخرَ " كلاركُ " مما تُسَمّيه الإدارةُ الأمريكيةُ بالحرب النظيفةِ في العراقِ قائلاً : لا شيءَ اسمُه حربٌ نظيفةٌ ، فالمدنيون هم الضحايا الحقيقيون لهذه الحربِ .

وللمرارةِ والأسفِ لم نسمعْ قائدًا عربيًا واحدًا يقولُ عُشْرَ ما قاله كلاركُ الأمريكيُّ !! ولا أدري أين اختفتْ حُمرةُ الخجلِ من الوجوهِ العربيةِ المتمسّكةِ بالكراسيِّ والعروشِ ، كما يتمسَّكُ الطفلُ بثدي أمّه !!.

ولْيفرح الآنَ المتخاذلون ، فقد سقطتْ بغدادُ وهم يرقصون ، ولا ندري على مَنْ سيأتي الدَّوْرُ بعد بغدادِ ، واليهودُ قادمون قادمون !!..

وصدق رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إذ قال : (كما تكونوا يُوَلّ عليكم) !!

وليس لنا كشعوبٍ عربيةٍ مغلوبةٍ على أمرِها ، ومستسلمةٍ لهوانِها ، ومُبْتلاةٍ في حكّامِها ، إلاّ أن نقولَ كما قالت المرأةُ العربيةُ الباكيةُ :

سَامِحْنَا يَا عِرَاقُ .. وَسَامِحِينَا يَا فِلَسْطِينُ !!..

الفهــرس

رقم الإيداع : ٨٠٤٩ / ٢٠٠٤